

زينب نبوه بحبوح

زينب فواز

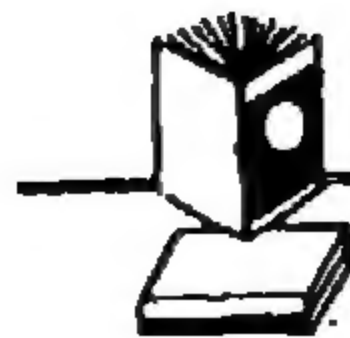
رائدة من أعلام
النهضة العربية الحديثة
١٨٤٦ - ١٩١٤

زَيْنَبُ نَبُوءَةٍ مَجْبُوعَةٍ

زَيْنَبُ فَنَوَاز

رائدة من أعلام النهضة العربيّة الحديثة

١٨٤٦ — ١٩١٤



منشورات وزارة الثقافة

في الجمهورية العربية السورية

دمشق ٢٠٠٠

زينب فواز رائدة من أعلام النهضة العربية الحديثة: ١٨٤٦-١٩١٤/
زينب نبوه بحبوح. - دمشق: وزارة الثقافة، ٢٠٠٠. - ٢٠٠ ص؛ ٢٤ سم. -

١- ٩٢٨: فواز، زينب ب ٢- ٧٢ ر ٩٢٠ ب ح ب ز
٣- العنوان ٤- بحبوح
مكتبة الأسد

الايداع القانوني: ع - ٨٦٠ / ٥ / ٢٠٠٠ .

علينا أن لا نخدع بأن المرأة تبدو في الظاهر
صالحة للحمل والحضانة فقط ، فما ذلك إلا لأن حالة
العبودية التي انشأنا عليها نساءنا أتلقت مواهبهن
العظيمة».

«يجب على النساء أن يقمن بخدمة المجتمع
والدولة قيام الرجال ، وأن الكثير من فقر عصره
وشقائه يرجع إلى أن الرجل يمسك المرأة لنفسه كأنها
نبات أو حيوان أليف لمجرد متاع فان ، بدلاً من أن
يمكنها من المشاركة في إنتاج الثروة المادية والعقلية
وفي حفظها».

* المفكر ابن رشد ١١٢٦-١١٩٨ م

«جوامع سياسة أفلاطون»

عربون وفاء

يستوقفك ، بإعجاب ، من أمر السيدة زينب نبؤه ، صاحبة هذا الكتاب ، ذلك التعدد في مجالات عطائها الهادف فهي إذ تطالعك ، على نحو متواصل الحلقات ، بوجه المجتهد ، المتقده حماساً وإخلاصاً ، في حومة العمل السياسي من موقع حزبي متقدم تراها منصرفة ، بدأب وتфан ، إلى الإسهام في ، حركة الدفاع عن قضية المرأة السورية بخاصة والعربية بعامة كما تراها عاكفة ، كلما أسعفها الوقت ، على معالجة هذا الشأن العام أو ذاك من شؤون مجتمعها السوري - العربي بالكلمة المسؤولة تطلقها بحرارة في الناس سواء من على منبر للحوار الجاد أو من خلال مطبوعة رصينة .

ويستوقفك ، أيضاً ، من أمر السيدة زينب نبؤه أنها لا تصدر في عطائها ، مهما تعددت مجالاته ، إلا عن هم مركب واحد هو من هم الإنسان في وطنها العربي الوثيق الصلة بهم الإنسان تحت كل سماء ...

ولعلها في انصرافها للدؤوب ، بحثاً عن الأجوبة الصائبة على أسئلة المرأة العربية ، قد التقت بزينب فواز فرأت في وجهها معادلة الأصالة والتجدد فجذبها إليه جذباً واستأثر باهتمامها ، فعكفت على قراءته بتأن وروية ، فاكشفت فيه حقيقة تاريخية باهرة ، تقع في الصميم من مشروعاتها المرصود لقضية المرأة العربية ، فامتألت نفسها بفيض من مشاعر الغبطة والاعتزاز بهذا الاكتشاف . إلا أن سحابة من الحزن والغضب سرعان ما عكّرت عليها صفاء هذه المشاعر ، فلماذا يا ترى ؟

لأنها وجدت أن إهمالاً جائراً ومتمادياً قد حجب ذلك الوجه طويلاً عن الأنظار ، وألقى به في زاوية النسيان ، إلى أن قيض له من رفع عنه بعض ما تراكم عليه من غبار النسيان وهو المجلس الثقافي للبنان الجنوبي الذي بادر إلى إعادة طبع ونشر أثرين بالغين الأهمية من الآثار الأدبية التي أبدعتها زينب فواز ، في العقد الأخير من القرن التاسع عشر ، فاستحقت بهما وسام الريادة سواء في كتابة النص الروائي أو في كتابة النص المسرحي نظماً وهذان الأثران هما : « حسن العواقب » و « الهوى والوفاء » .

لقد انكبّت على إعادة النظر فيهما ، بدقة الباحث وحذب المحب ، الكاتبة فوزية فواز ، أمينة السرفي المجلس الثقافي ، فاستنفرت جهدها في تحقيقهما وتصحيح الأخطاء المطبعية الكثيرة فيهما ووضع النقاط والفواصل التي يقتضيها السياق ومنطق البيان حتى إذا اطمأنت إلى كمال صنيعها أو نحو ذلك سارع المجلس إلى إعادة طبعهما والخروج بهما إلى قراء العربية ، عام ١٩٨٤ ، في حلّة جديدة وتقديم مسهب غني يضع بين يدي القارئ ، لأول مرة ، صورة موثقة عن سيرة حياة زينب فواز وعن كفاحها المرير في بناء ذاتها ، متنقلة ، بطموحها وإرادتها ، من جبل عامل ، حيث ولدت ، إلى مصر فالشام فإلى مصر مرة ثانية وأخيرة ... والجدير بالذكر ، هنا ، أن هذه الصورة الموثقة تضمنت ، إضافة إلى سيرة حياتها ، ثبناً مفصلاً بأعمالها الكتابية ، في الرواية والمسرح وفي الاجتماع السياسي وفي قضية المرأة على وجه الخصوص ، ما أغنت بها المكتبة العربية وفيها الكثير من المحاولات الجديدة غير السائدة في تلك الحقبة المفصلية من التاريخ العربي المعاصر ...

كثيرة هي الأحداث والتطورات التي اكتظت بها تلك الحقبة التاريخية التي عاشت في غضونهما زينب فواز عيش المغالبة والمجالدة ، عيش العصامية بامتياز استثنائي ...

وكثيرة هي عناصر التفوق والتألق والريادة التي تمتعت بها على الرغم من اختلاف المحن القاسية عليها وتربص الظروف السيئة بها من كل جانب سواء في حلها أو الترحال ...

ومهما يكن من أمر تلك الظروف فإنها - طابت ذكراها - قد أصابت، في حياتها نجاحاً كبيراً تجلّى في المنزلة العالية التي احتلتها في الأوساط الثقافية والاجتماعية في كل من مصر والشام.

ولكن، مع شديد الأسف، فإن تلك المنزلة سرعان ما تهاوت عقب غيابها مباشرة عن هذا العالم فلم يبق لها من ذكر يُروى.

وحسبنا، هنا، أن نشير، للتدليل على ذلك، إلى أن أحداً ممن أرخوا للعصر النهضة قد التزم الموضوعية في القراءة والأمانة في النقل والعدالة في الحكم فأنزل زينب فواز حيث تستحق من مكانة جنباً إلى جنب مع الرواد الأوائل من وجوه ذلك العصر، من هنا لحق بها غبن جائر، بعد الوفاة، فحُرمت الأجيال العربية فرصة التعرف على وجه نهضوي لا يقل وزناً عن تلك الوجوه المضيئة التي عمرت بها بطون الكتب واستدعت الكثير من الكتابات في شأنها وما تزال تستدعي المزيد إلى يومنا الراهن ...

وربما يكون هذا الغبن الذي لحق برائدتنا ظلماً وإجحافاً قد دخل عاملاً رئيساً في جملة العوامل التي دفعت بالسيدة زينب نبؤه إلى الإسهام في إظهار الحقيقة وإعادة الاعتبار إلى الموضوعية في كتابة التاريخ وذلك بتحرير كتاب مستقل عن سميتها زينب فواز. لقد حرّرتَه باذلةً قصارى جهدها في الوقوف على مصادره وفي جمع مادته وصوغ لغته ثم في الإشراف على طبعه ليخرج إلى الناس بمعالم ذلك الوجه النهضوي الذي تظافر عليه الزمن فحجبه عن الأنظار قرابة المئة عام ...

يبقى أن نشير ، أخيراً ، إلى أن هذا الكتاب ما كان له أن يرى النور لولا الهاجس المثلث بقضية المرأة الذي سكن صاحبه ، السيدة زينب نبوءه ، واقتادها إلى حلبة النضال انتصاراً لهذه القضية العادلة ولعل اللقاء الأول بين « الزينبيين » قد انعقد على هذه الجلسة ثم توثقت الصلة بينهما وتطورت ، برغم فارق الزمن ، فأثمرت هذا التاج الكتابي الوازن ...

وما يدعونا ، في هذا الصدد ، إلى الإعجاب الكبير بالرائدة زينب فواز إقدامها المبكر على التصدي الجسور لتقاليد محيطها الاجتماعي ودعوتها التنويرية إلى تحرير المرأة وذلك قبل ظهور كتاب قاسم أمين «تحرير المرأة» بسنوات قاربت العشر ... أما الدليل على صحة هذا الرأي فقد ظهر جلياً على صفحات جريدة «المؤيد» المصرية في مقال نشر لزینب فواز عام ١٨٩٢ بعنوان « تقدم المرأة » بيد أن الدليل الأبلغ في معناه والأشد جلاءً في مقصده فقد ظهر في كتابها الموسوعي «الدر المنثور في طبقات ربات الخدور» الذي شاركت به في المعرض الكولومبي عام ١٨٩٣ فكان مطالعة ضافية حارة أشادت فيها بمؤهلات المرأة وقدراتها ، ودافعت فيها عن حقوقها المشروعة في التحرر والتقدم والمساواة ...

وبعد فقليل في حق السيدة زينب نبوءه أن نعرب لها عن بالغ تقديرنا على جميل صنيعها في وضع هذا الكتاب عربون وفاء وشهادة عدل في حق زينب فواز صاحبة السبق في الانتصار لقضية المرأة العربية وفي كتابة النص الروائي بلغة الضاد .

فإلى المزيد من هذا العطاء المثمر . .

بيروت في ٥/٥/٢٠٠٠

حبيب صادق

مقدمة

زينب فواز، علم من أعلام النهضة العربية الحديثة. أديبة ومفكرة وناقدة وشاعرة.

من أرض الجنوب الخيرة طلعت، مثل زهرة برية، حاملة كل ما تنطوي عليه أزهار البراري من تألق وحيوية.

لماذا زينب فواز؟

١ - التأكيد بالدليل الحسي على ثراء الإنتاج الأدبي والفكري لرائدات النهضة في أواخر القرن التاسع عشر، وأوائل القرن العشرين. فلم يكن الإنتاج الأدبي والفكري وقفاً على الرجال وحدهم، بل كان بجانب منه، حصيلة جهود المرأة ونبوغها برغم كونها المعرضة أكثر من الرجل لصنوف القهر والعذاب. وهؤلاء الرائدات لم ينلن حقهن في احتلال مكانهن الجديرات به في قائمة المشاهير من أدباء عصر النهضة.

إن كل الذين دونوا لعصر النهضة من العرب، لم يلتزموا الموضوعية ويقوموا تقوياً من شأنه أن يساعد على إبراز وجوه نسائية ثقافية نهضوية، لا تقل قيمة وتأثيراً عن الرواد الذين برزوا في تلك المرحلة.

٢ - وإذا كانت الرائدات الأوليات لم ينلن ما يستحققنه من تكريم ، فزينب فواز الرائدة المجهولة لم تنل الحد الأدنى من المعرفة والتكريم . وهي التي تحدثت عن أربعمئة وست وخمسين امرأة من الشرق والغرب في كتابها « الدر المنثور في طبقات ربات الخدور » ، مسجلة إنجازات أخواتها في كل من الشرق والغرب ، لم تذكر أي شيء عن نفسها وعن أسرتها ، وأنكرت ذاتها تمثيلاً مع آداب عصرها ، في ما يعدونه فضيلة خلقية .

ومما يحز في النفس أن أحداً من كبار المؤرخين والكتاب الذين صرفوا جل اهتماماتهم للتأريخ لحياة الأدباء والمفكرين في عهدها ، لم يولها من الاهتمام ما أولوه لمن هن دونها في المكانة الأدبية والفكرية .

قد يكون هذا التجاهل عائداً لأسباب طبقية واجتماعية ، فهي ليست من الأسر المرموقة في ذلك الحين ، كباحثة البادية وعائشة التيمورية وهدى شعراوي ومي زيادة وغيرهن . فقد نشأت في أسرة فقيرة وفي بيت ريفي متواضع كمعظم بيوت الفلاحين في ذلك الحين .

٣ - تتميز زينب فواز عن سواها من رائدات النهضة بعصاميته . فقد خاضت غمار قضية تحرير المرأة لنفسها وبنفسها وحدها بدون رعاية . فتعالت باختيارها الأدب والفكر على الفقر وتسامت على الدهر ، في عصر تميز بالجهل والامية والإقطاع السياسي . وإن من يطلع على مقدمات كتبها ، وما كان يأتيها من تقويم لهذه الكتب ، يجد فيها دليلاً على شهرتها في الأوساط الأدبية والفكرية في ذلك الحين . ومن المؤسف أن الآثار الأدبية والفكرية التي تركتها زينب غير متوفرة فما طبع منها ولأول مرة منذ قرن ، فقدت آثاره . والباحث عن نتاج هذه الأدبية والمفكرة لا يظفر إلا بالقليل القليل .

٤ - زينب فواز ابنة (جبل عامل) هذه المنطقة الجنوبية من لبنان، المشهورة بوفرة إنتاجها الأدبي والفكري، وبوطنية أبنائها الذين ضرب بهم المثل في البذل والتضحية خلال مراحل تاريخهم، وخصوصاً إن المنطقة تواجه منذ عقود، الهمجية الصهيونية بكل صنوفها وصلافتها من احتلال وهدم وتشريد وأسر. فهي حصن لبنان في جنوبه والحاجز الدفاعي الأول عن الوطن، رغم تعرضها لسياسة الإجحاف والحرمان والإهمال من السلطات الرسمية في كل العهود. وزينب فواز المولودة في بلدة تبين إحدى حواضره العريقة، هي ابنة هذه المنطقة.

لقد وجدتُ صعوبةً كبيرة في تعقب آثار هذه الأدبية وإعطائها ما تستحقه من اهتمام ... حتى في سورية التي عاشت فيها سنوات ومارست بعض نشاطها الأدبي، وتركت في قلوب السوريين كل حب وتقدير وإعجاب، تجلّى في اسم زينب فواز الذي أطلقوه على مدرسة ابتدائية في دمشق - سوق الصوف الواقع في شارع مدحت باشا.

غير أن الكثير من الباحثين والمفكرين السوريين المعاصرين يقولون، إنهم سمعوا بالاسم ولكنهم لا يعرفون عن هذه الأدبية شيئاً.

ويمكن هنا أن نشير إلى الدور الهام الذي قام به ولا يزال المجلس الثقافي للبنان الجنوبي، وأمينه العام الأديب والباحث الأستاذ حبيب صادق في المحافظة على التراث العاملي. والعمل على كشف كنوزه، ونشر أهم آثاره من المخطوطات القيمة، والعناية بنتاج أبنائه الثقافي، وهكذا بالنسبة لزينب، فقد بذل المجلس جهوداً حثيثة في محاولة جمع التراث الزينبي المتناثر المهمل. في لبنان وسورية ومصر حيث عاشت ومارست نشاطها الفكري والأدبي. فقد أعاد نشر ما توافر لديه من آثار هذه الأدبية العاملية. فكان أول هيئة في لبنان والعالم العربي تقوم

بمبادرتها بإمالة اللثام عن هذه الرائدة الجنوبية ، حيث تم تحقيق نشر أثيرين في مؤلف واحد ، هما رواية « حسن العواقب أو غادة الزهراء » ، ومسرحية شعرية بعنوان « الهوى والوفاء » . وقد قام بتحقيق هذين الأثرين الكاتبة والأديبة فوزية فواز المنتسبة إلى عائلة زينب فواز نفسها ، عضو الهيئة الإدارية للمجلس الثقافي ، التي أعطت الكثير من الوقت والجهد لإعداد هذين الأثرين الهامين . ويتابع المجلس العمل من أجل نقض غبار النسيان عن آثار هذه الرائدة والدفاع عن حقها في احتلال مكانتها الجديرة بها ، لعلها تجد من التكريم ما يليق بها ، كما يكرم سواها ممن عاصرها .

لقد كرمت مصر مؤخراً أحد أدباؤها المعروفين « قاسم أمين » بمناسبة مرور مائة عام على صدور كتابه « تحرير المرأة » ، وهذا يدعو إلى الغبطة والتفاؤل . ولكن مما يدعو إلى الأسف أن تهمل في الوقت نفسه أديبة لمعت في نفس الفترة في سماء مصر ، ونشرت معظم مقالاتها في مختلف الصحف والمجلات المصرية وطبعت نتاجها في ربوعها ، ونالت شهرتها الواسعة في محيطها تاركة ما تبقى من آثارها مدفوناً هنا أو هناك في غياهب النسيان ، أو تحت غبار الغبن والإهمال .

إن دعوة قاسم أمين لتحرير المرأة جاءت على طريق شبه ممهدة ، شقته إسهامات نسوية وجدت طريقها إلى العلن منذ بداية العقد التاسع من القرن التاسع عشر ، على يد رائدات معروفات ، غالجن القضايا الاجتماعية عموماً ، وقضية المرأة خصوصاً ، وما تتعرض له من قهر وإحباط . وانتقدن المنظومة الاجتماعية التي تمارس قهرها التاريخي على النساء . وتقف زينب فواز بين هؤلاء النسوة بصلابة أكثر واضعة قضية تحرير المرأة في نصاب جديد . ف « الرسائل الزينية » الداعية لمساواة المرأة بالرجل في العلم والعمل والسياسة ، وحسب رأي وإجماع ثلة من

المؤرخين اللبنانيين والمصريين، كانت الصنوت الأولى في الدعوة إلى النهضة والتحرير قبل مي زيادة وباحثة البادية وهدى شعراوي من الناحية الزمنية في القضايا والمواضيع التي تطرقت لها، ليس في وطنها لبنان فحسب، بل وفي الوطن العربي والشرق عموماً.

لقد واجهت زينب واقعاً اجتماعياً متدنياً مازالت صورته المؤلمة موجودة حتى الآن تحقّر من شأن المرأة. وقد عبرت بصدق في روايتها «حسن العواقب» الصادرة عام ١٨٩٩م - وهي أول رواية عربية - عن النموذج الذي ينسجم مع أفكارها، التي تؤكد ضرورة التعليم والعمل للمرأة، واحترام عقلها وحقوقها المطلق في اختيار أسلوب حياتها.

كما نراها في «الرسائل الزينية» تنادي بمسلّمات جديدة في موضوعات المرأة، مثل سن قوانين تنظم حياة المرأة وتضمن لها حقها بالعلم والعمل، وبذلك فقد سبقت قاسم أمين، إذ إن رسائلها الزينية كانت تنشر في الصحف المصرية قبل عام ١٨٩٢م بينما لم ينشر قاسم أمين كتابه إلا عام ١٨٩٩م.

لا شك أن دعوة قاسم أمين ورواد النهضة لتحرير المرأة أتت انعكاساً للتغيرات الكبيرة، والتي كان أساسها تغيرات سياسية واقتصادية تمت في المجتمع العربي، وفرضت اتجاهات جديدة في المجتمع. ولم تكن قضية المرأة في حينه بالأمر السهل، بل كانت قضية معقدة تعاني منها المجتمعات الشرقية الإسلامية، ولهذا أحدث كتابه ضجة اجتماعية كبيرة ومعركة فكرية حامية في مصر والبلدان العربية.

لقد آمن قاسم أمين ورواد عصر النهضة بأن السبيل الوحيد للنهوض بالمجتمع وإصلاحه هو تحرير المرأة . وتحريرها يكمن في العلم والعمل . وقد عملوا على إنجاز قاعدة للعمل لتحرير المرأة . ولم يتمكنوا أن يحققوا أكثر من ذلك بسبب عدم وجود تجمعات أو تنظيمات أو حركات سياسية تدعم مثل هذا الطرح في حينه ، فجاءت آراء هؤلاء الرواد دعماً وتأكيداً لما طرحته الرائدات .

ورغم مرور مائة عام ، وتبدل الأوضاع ، ووجود مناخ دائم أكثر لهذه الأفكار في أيامنا هذه ، إلا أنه ما زال هناك تعميم على أعمال هذه الشخصيات وكتاباتهما ، ومؤتمر القاهرة الأخير بمناسبة مرور مائة عام على صدور كتاب « تحرير المرأة » له أهمية استثنائية وانعكاسات إيجابية على مسألة التطور عموماً .

وأتساءل هل هناك يؤس أكبر من أن تطور مجتمعاتنا العربية خلال القرن العشرين كله ، وسياستنا وعقائدنا ، وأفكارنا ، وفلسفتنا ، لم تستطع أن تتجاوز آراء هؤلاء الرواد والرائدات ، أو أن تستطيع تطبيق ما جاء في طروحاتهم حول حقوق المرأة ، وهو يشكل الحد الأدنى بواقع الحال ؟ .

والآن ونحن على أبواب القرن الحادي والعشرين ، وفي ظروفنا الراهنة ، وبوجود إشكالية تفرضها الرأسمالية والعولمة وهي تسليع كل ما يخص المرأة ، وإبعادها عن العمل السياسي ، والشأن العام ، إلى جانب النضال من أجل نيل المرأة حقوقها كاملة غير منقوصة . ألا يفرض هذا ، على القوى التقدمية والأحزاب السياسية والنقابات العمالية ، بذل الجهود من أجل النهوض بالمرأة للنهوض بالمجتمع ؟ .

إن أفكار الشيخ محمد عبده ورفاعة الطهطاوي وقاسم أمين وغيرهم ، إلى جانب أفكار الرائدات المدافعات عن حقوق المرأة ، كانت النبراس المنير . وسيبقى كل ما طرحوه في حينه هاماً ومؤثراً من أجل دفع قضية المرأة إلى الأمام .

فقضية المرأة تبقى جزءاً من قضية المجتمع، وتحريرها هو جزء من تحرير المجتمع كله، من النظام الرأسمالي وقيمه التجارية والأخلاقية، وتحويله إلى مجتمع ديمقراطي واشتراكي حقيقي يحقق المساواة والعدالة لجميع البشر بصرف النظر عن لونهم أو جنسهم أو طبقاتهم الاجتماعية .

فهل يمكن تغيير هذا الوضع في مستهل القرن الحادي والعشرين وإكمال الأعمال الجليلة لرواد النهضة ورائداتها؟ .

الباب الأول

النهضة العربية

الفصل الأول : النهضة العربية في القرن الـ ١٩ والعوامل الرئيسة التي أسهمت في قيامها .

الفصل الثاني : الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية والثقافية في بلاد الشام .

الفصل الثالث : الوضع الثقافي والاجتماعي في جبل عامل .

النهضة العربية في القرن التاسع عشر والعوامل الرئيسية التي أسهمت في قيامها

بدأت النهضة العربية في مطلع القرن التاسع عشر بعد أحداث هامة تعرضت لها المنطقة العربية أبرزها (١):

١ - الحملة الفرنسية على مصر في نهاية القرن الثامن عشر، وما دفعت إليه من إصلاحات قام بها محمد علي باشا في مصر، وابنه إبراهيم محمد علي في بلاد الشام وقد أدت، مع عوامل أخرى، إلى تصدع الإقطاعية العثمانية، مما أفسح المجال للنهوض العربي.

٢ - تعاظم الدور الأوربي في شؤون الشرق العربي وخاصة في بلاد الشام، الذي لم يكن له وجه الاحتلال العسكري المباشر. إنما أوجه أخرى منها التجارة ونقل العلوم والمعارف، من خلال الإرساليات والبعثات العلمية التي رافقته.

وقد لعب هذا التدخل دوراً مزدوجاً غازياً مستعمراً هيمن على المنطقة من جهة، وإيجابياً محفزاً من جهة أخرى، إذ حمل الفكر البورجوازي المبكر المناهض للإقطاعية والداعي إلى التحرر والتطور والانعتاق، مما ساعد على إحداث تغيير في التطور اللاحق للمنطقة.

٣ - التأثيرات التراثية المتعددة الألوان والأشكال ذات الجوانب الثورية المضيفة في الحضارة العربية الإسلامية. والجوانب المرسخة للتخلف، عهود

(١) - الباحث والمؤرخ د. عبد الله حنا - النهضة والاستبداد.

الانحطاط من القرن الرابع عشر إلى القرن التاسع عشر وتحديدًا بعد انهيار الحضارة العربية الإسلامية .

٤ - بداية تكون البورجوازية ، تلك الفئة الاجتماعية التي عبرت عنها آراء المثقفين المتأثرين بالغرب الرأسمالي ، خاصة بعد الإصلاحات ذات المحتوى البورجوازي التي قام بها محمد علي في مصر وبلاد الشام بحلول عهد التنظيمات .

٥ - «الإصلاحات العثمانية» ذات الطبيعة البورجوازية الليبرالية . أي الانتقال من أحد أشكال الإقطاعية العثمانية إلى شكل آخر أكثر تطوراً وتلازماً مع الأوضاع الداخلية والخارجية المستجدة في القرن التاسع عشر . وهذا الشكل تناسب مع مرحلة الانتقال من الإقطاعية إلى الرأسمالية .

٦ - عمق الانتفاضات الفلاحية التي عمت عدة مناطق عربية على امتداد القرن التاسع عشر .

٧ - بداية ظهور عصر التنوير في مصر أولاً ، ومن ثم في بلاد الشام .

كان معظم البلدان العربية حتى بداية القرن العشرين خاضعة للحكم الإقطاعي التركي العثماني ، وقد اختلف الوضع بين بلد عربي وآخر ، باختلاف السيطرة العثمانية . فكانت مصر تتمتع باستقلال ذاتي عن السلطة العثمانية وتتبعها اسماً فقط . أما بلاد المغرب العربي التي غزاها الاستعمار الفرنسي فكان لها خصوصية معينة ، بينما كانت بلاد الشام ترزح تحت نير احتلال عثماني مستبد أوصل الشعب والبلاد إلى أوضاع صعبة ومعقدة .

وعندما شعر محمد علي بقوة مصر ، حاول طرد العثمانيين من الحجاز وبلاد الشام ، غير أن خوف الأوربيين والعثمانيين من قيام دولة عربية كبرى دفعهما إلى إحباط هذه المحاولة .

وكان لنهضة مصر تأثير مباشر على الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية في بلاد الشام .

وقد اتخذ عدد من المفكرين العرب نساء ورجالا من بلاد مصر مقراً لنشاطهم الفكري والأدبي والسياسي ، وإصدار كتبهم ومجلاتهم التي كانت تصل إلى جميع أنحاء الوطن العربي وحتى إلى بعض الدول الأوربية ، ولهذا فإن لمصر وللقاهرة تحديداً فضلاً كبيراً في النهضة العربية الحديثة . فقد أنجبت واحتضنت عدداً من النهضةيين رجالاً ونساء منهم على سبيل المثال لا الحصر : عبد الرحمن الكواكبي ، زينب فواز ، ليبة هاشم ، مي زيادة ، هند نوفل ، فرح أنطون ، وغيرهم وغيرهم .

أما منطلقات المشروع الأساسي ، كما وردت على ألسنة رجال النهضة بمختلف مشاربهم فهي :

- (*) - القضاء على الأمية والجهل ونشر المعارف العلمية .
- (*) - الأخذ بسياسة التصنيع والتكنولوجيا الغربية والعمل على اللحاق بها .
- (*) - اقتباس كل ما ينفع عن المدنية الغربية الحديثة .
- (*) - محاربة الجمود ، وتنقية الدين من البدع والقشور .
- (*) - الدعوة إلى العقلانية ، والتأكيد على مبدأ السببية ، واتباع العقل في جميع الأحوال .

- (*) - مقارعة الاستبداد ، بأشكاله المختلفة .
- (*) - الدعوة إلى الديمقراطية والشورى .
- (*) - السعي إلى قيام الدولة الوطنية ، التي تنظمها وتسيرها القوانين .
- (*) - المطالبة بحقوق الإنسان ، والمساواة بين جميع المواطنين ، فهم حسب تعبير خالد محمد خالد مواطنون لا رعايا .
- (*) - محاربة العشائرية والقبلية والعائلية والطائفية والمذهبية والمناطقية ، وكل ما يؤدي إلى تفريق الأمة وتقسيم الوطن .
- (*) - الدعوة إلى القومية العربية .

(*) - العلمانية ، التي كانت شعار أحد جناحي النهضة .

، (*) - تحرير المرأة .

كان الرأي السائد في البدء يحصر أهداف النهضة ويحددها بالجوانب الأدبية والعلمية . ولكن النهضة العربية في مسارها الطويل ، وتحديدًا في مرحلتها الأولى من منتصف القرن التاسع عشر إلى أواخر ثلاثينيات القرن العشرين ، لم تقتصر أهدافها على الجوانب العلمية والأدبية فحسب بل تعدتها إلى أهداف كثيرة ، ذات مضامين اجتماعية وفكرية وسياسية .

الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية والثقافية

في بلاد الشام

إن استبداد السلطة العثمانية في بلاد الشام التي كانت ترزح أيضاً تحت نير الإقطاع، كان وراء تفشي الأمية فيها تفشياً واسعاً، بسبب انعدام المدارس وغياب الثقافة، كما كان الفقر والتخلف والعزلة الإقليمية والطائفية هي السمة العامة للمجتمع، ولم تطل تأثيرات النهضة الأوربية سوى أوساط معينة فقط، وبعض المدن الرئيسية.

كانت الأيديولوجية الدينية الصوفية حتى منتصف القرن التاسع عشر هي السائدة في المشرق العربي، وكان لكبار المتصوفة تأثير واضح في أقطار هذا المشرق. ومع أن مسيرات الطرق الصوفية اصطدمت أحياناً مع الطبقة الحاكمة العثمانية، إلا أن هذه الطرق لم تؤد، في القرن التاسع عشر، دوراً ثورياً، بل وقفت في مواجهة مكشوفة مع حركة النهضة العربية والتنوير الإسلامي لدى ظهورها.

وفي ظل هذه الأوضاع، كان قدوم الجيش المصري بقيادة إبراهيم بن محمد علي، في النصف الأول من القرن التاسع عشر، وطرده العثمانيين من بلاد الشام من أهم الأحداث تأثيراً على هذه البلاد. فقد أعيد تشكيل التحالفات السياسية

وقدّمت البعثات الأوربية إلى بلاد الشام، وافتتحت الجامعات في العواصم الرئيسة مثل جامعة القديس يوسف والجامعة الأميركية في بيروت بالإضافة إلى المعاهد التي كانت تتبنى مناهج التعليم الحديثة. كما تم إدخال المطابع وإصدار الصحف، والتأكيد على حرية المعتقد واحترام الأديان، وتجديد الثقافة العربية وتسهيل دخول التيارات الثقافية الأوربية بما تحمله من قيم ومفاهيم جديدة، والتأثر بالنهضة الأوربية والدعوة إلى تمثلها. هذه العوامل كلها ساهمت في دعم حركة النهضة العربية، وبعث الوعي الوطني والقومي بمواجهة الأفكار التقليدية التي كانت متمثلة بالمجتمع العشائري والقبلي والطائفي. وبدأت تنتشر مفاهيم حول قيام الدولة الحديثة. وقد شهد القرنان التاسع عشر والعشرون نشاطات هامة فكرية تحررية نشرها رواد عصر النهضة الأوائل^(١).

(١) - الباحث والمؤرخ د. عبد الله حنا - النهضة والاستبداد.

الوضع الثقافي والاجتماعي في جبل عامل

إن التاريخ السياسي لجبل عامل ، هو التاريخ السياسي للبنان بأكمله ، وهو مشابه لتاريخ بلاد الشام كلها آنذاك . إذ كانت السياسة الإقطاعية تعتمد على تجزئة البلاد ، وتركها ميداناً للنزاع والصراع بين حكام الإقطاعات المتجاورة ، وباباً للتفريق بين ملتزمسي الإمارة والحكم من كل مقاطعة . مما جعل الحروب المحلية والمؤامرات حتى بين أفراد العائلة الواحدة ، سمة مميزة لتلك المرحلة .

أما التاريخ الخاص والداخلي لجبل عامل ، فهو تاريخ القرى والخواضر ، وتاريخ البارزين في هذه المنطقة ، كما كان عهده في النظام الإقطاعي .

كانت السلطة عبارة عن مشيخات تابعة لحكومة مركزية مستبدة ، هي كل شيء في التاريخ والسياسة . فلم يكن يحسب المؤرخون حساباً لجبل عامل ، ليكون له تاريخ مستقل مفصل .

وكانت الدولة المركزية تطرح المقاطعات الريفية التابعة للولاية للمزايدة بين الراغبين فيها من أعيان البلاد وأغنيائها ، مقابل مبالغ محددة يدفعها الراغب في الالتزام .

كان الملتزم في مقابل ذلك ، يحل محل الحكومة في السيادة والإمارة على إدارة الالتزام . وكان حر التصرف في جباية ما يشاء جبايته من الأهالي ، بدلاً من

قيمة الالتزام التي يدفعها كل عام للدولة . وكان الأهالي الذين يعيشون على أرض الالتزام أذل من العبيد ، فربما استطاع العبد أن يفر من مولاه إذا أرهقه ، ولكن الفلاح ما كان يستطيع أن يفر من الملتزم إلى بلدة أخرى ويترك وطنه وعياله لأن الملتزم إذا علم بمكانه أحضره قهراً وزاده إذلالاً ومقتاً .

وفي إطار هذه العادات والتقاليد ، كان يحكم جبل عامل في جل العهود العثمانية الأخيرة أسر إقطاعية كل منها مستقل يحكم مقاطعة أو عدة مقاطعات يلتزمها ويجبي ضرائبها ، ويدير أموالها ويستثمر أراضيها كيفما شاء ، على أن يدفع لقاء ذلك كل ما عليه من المال سنوياً إلى خزانة السلطة العثمانية بواسطة والي الأيالة ، أو من يقوم مقامه ، على أن يلتزم بتأمين الطرق وحفظ الأمن داخل حدود مقاطعته وأن يلبي برجاله وفرسان مقاطعته دعوة والي الأيالة عند الحروب الأهلية والدولية ، ويشارك في أي معركة يوجه إليها .

وقد تميزت الحركة الفكرية في جبل عامل في أواخر القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين بثلاث خصائص هي :

١ - تأثر الحركة الفكرية بالعقيدة الدينية ، والقائمون عليها جماعات من رجال الدين ، وضعوا لها بثقافتهم ومعرفتهم حدودها . والمدارس المنتشرة في ربوع الجبل ، إنما كانت في البداية منازل للتدريس الديني والتشقيف الفقهي ، الذي كان الركيزة الأولى في ثقافة الطلاب ، وما عداه من علوم يصيبه الدرجة الثانية من الاهتمام .

٢ - تأثر الحركة الفكرية بالوضع السياسي والحالة الاجتماعية ، من استعداد دائم للحروب ، وكثرة الأحداث والوقائع . وأثر الزعماء السياسيين ، بالتفاف الأدباء والعلماء حولهم ، مما أدى إلى وجود مصنفات دونت الوقائع والأحداث ، ونشوء أدب سياسي .

٣ - تبدو هذه الحركة متسعة شاملة، نزلت إلى صفوف العامة، ولم تعش فقط في رحاب علماء (الطبقة العليا) من الشعب . وشارك الجمهور في أدبه العامي وأزجاله الشعبية .

لقد تسرب النشاط الأدبي إلى صفوف النساء، فشاركت المرأة في تذوق الأدب وإنتاجه، لكن هذه المشاركة جاءت متأخرة عن نشاط الرجل . وباستجلأنا لمظاهر هذه الحركة، وإمعاننا في تفصيلها، يتبين أنها كانت أرسقراطية الطابع، لم يعن بها سوى نساء الحكم وبناته ومن له صلة بهم . ومن برز في هذا المجال فاطمة الخليل زوجة علي الأسعد، الذي كان شاعراً بالإضافة إلى كونه حاكم القلعة ثم أخذ بهذا النشاط من له صلة بآل الأسعد كزينب فواز، التي اهتمت بالمطالعة وقراءة الشعر .

وقد برز خلال هذا العهد في بلدة بنت جبيل امرأة أديبة وشاعرة، تدعى (منى)، وكان لها في الشعر خبرة حسنة، كانت تجالس الأدباء وتساجل الشعراء من وراء حجابها، وكانت معروفة بسلامة ذوقها وحسن اختيارها .

وجاء هذا العهد مزدهراً بحياته الفكرية والأدبية، وزينب فواز مثال لنشاط المرأة العاملة في الحياة الفكرية .

وهكذا فقد أنبت الأرض العاملة، في نهاية القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين، العديد من العلماء والمفكرين، وأخرجت قوافل الشعراء والكتاب، واحتضنت حلقات الباحثين والدارسين .

الباب الثاني

أوضاع المرأة في عصر النهضة

الفصل الأول: المرأة في عصر النهضة.

الفصل الثاني: أوضاع المرأة في بلاد الشام.

الفصل الثالث: الصحافة النسائية العربية في عصر النهضة.

المرأة في عصر النهضة

ساعد عصر النهضة في أن تستعيد الثقافة العربية موقفها الإنساني من المرأة، بعد قرون من الاضطهاد والاستعباد منذ عصر المماليك الذي بدأ عام ١٢٥٠م، والعصر العثماني الذي تبعه منذ عام ١٥١٦م بعد أن لعبت الثقافة العربية دوراً في رفع شأن المرأة، في صدر الإسلام، وفي الأندلس، وحتى العصر العباسي، قبل عصري الانحطاط المذكورين.

ولم تكن النظرة الدونية والمتخلفة إلى المرأة إلا نتيجة أفكار ومفاهيم أتت بها المماليك والعثمانيون، بعيداً عن روح الثقافة العربية الأصيلة، وذلك للحؤول دون تعليم المرأة وعملها بهدف الإضرار بالمجتمع العربي عن طريق شل نصفه بضربة واحدة.

كان المثقفون العرب في بداية عصر النهضة طليعة المناضلين السياسيين والاجتماعيين، إذ كانوا قادة الفكر والتنوير ودعاة الاستقلال السياسي للنهوض بالأمة العربية وتحريرها. كما كانوا أنفسهم الداعين إلى تحرير المرأة كجزء لا يتجزأ من تحرير المجتمع كله من الجهل والقهر والتخلف والعبودية.

وكانوا يرون تلازماً بين انحطاط المرأة وانحطاط المجتمع وتخلفه. وإن تاريخ النهضة حافل بأسماء الرجال المناضلين من أجل حرية الوطن وتقدمه، ومن أجل تحرير المرأة ومساواتها بالرجل مثل رفاة الطهطاوي، ومحمد عبده وقاسم أمين وغيرهم وغيرهم. أولئك الذين ربطوا بين أوضاع المرأة المتردية بتردي أوضاع

المجتمع والظلم الذي كان يقع عليها وعلى المجتمع معاً من استمرار الاستبداد الشرقي وحكوماته الاستبدادية . وقد تمكن هؤلاء الرواد من نقل قضية المرأة من الشأن الخاص إلى الشأن العام ووضعها في إطارها الصحيح كقضية سياسية، اقتصادية، اجتماعية، تتعلق بحركة تطور المجتمع، وجملة ظروفه القائمة . فهي تتقدم إن تقدم المجتمع، وتنحط إن انحط .

كانت الإشكالية عند رواد عصر النهضة الأوائل واحدة: أولوية التقدم، ولا تقدم في نظرهم بدون إصلاح أوضاع المرأة.

إن دعوة قاسم أمين التي أطلقها لتحرير المرأة والتي مرّ عليها، لتاريخه، مائة عام كان يقصد بها تحرير عقلها من الغشاوات التي تكبله وتحد من انطلاقها ومشاركتها في تطوير المجتمع.

وإنه لمن المؤسف أن هذه الدعوة لا تزال قائمة بعد مائة عام، أي أن وضع المرأة الفكري لم يطرأ عليه سوى تغييرات طفيفة أصابت النخبة، واقتصرت التغيير على الشكل.

إن قوانين عديدة تتعلق بالمرأة لا بد من مراجعتها، وتشريعات جديدة لا بد من إعادة صياغتها، وعقبات اجتماعية وسياسية صعبة ومعقدة لا بد من إزالتها، وتحديات فكرية أصعب لا بد من مواجهتها.

لقد كان مشروع قاسم أمين خلاصة مقدمة، وتبويجاً فكرياً صاعداً لكل ما سبقه من جهود إصلاحية تواصلت طوال النصف الثاني من القرن التاسع عشر، جهود أسهم فيها، إلى جانب الرواد الأوائل، أمثال: محمد عبده ورفاعة الطهطاوي في مصر، وبطرس البستاني وفارس الشدياق في لبنان، وغيرهم، رائدات من طراز زينب فواز وعائشة التيمورية ولبيرة هاشم وعفيفة كرم وملك حفني ناصيف وهند نوفل وغادة عمشيت، وغيرهن وغيرهن.

فقد صدرت في عام ١٨٩٩ م، وربما قبل هذا التاريخ المدون رواية زينب فواز «حسن العواقب أو غادة الزهراء» في الوقت الذي صدر فيه كتاب قاسم أمين «تحرير المرأة». وقد أثار صدوره، ولما يزل، ضجة إعلامية كبيرة وحملة نقدية واسعة، وجاء آخر فصولها في مؤتمر القاهرة الذي انعقد أواخر السنة الفائتة بمناسبة مرور مائة عام على صدور هذا الكتاب.

من الطبيعي والهام أن يجري اهتمام بالرواد الأوائل، والمؤتمر الذي عقد في القاهرة مؤخراً، كان هاماً ومفيداً لتقييم مشروع قاسم أمين في علاقته بعصره، ورؤيته من منظور عصرنا نحن، وترتيب أولويات الزمن الذي نعيشه، لا لكي ننتهي إلى ما انتهى إليه منذ قرن إنما لكي نبدأ من حيث انتهى إليه هو، ومن حيث انتهت إليه حركة تحرر المرأة بعده.

لم يكن رواد عصر النهضة كما رأينا الوحيدين الذين عنوا بقضايا النهضة وبقضية المرأة تحديداً في عصرهم، بل شاركتهم في هذه المهمة النهضة رائدات نهضويات بارزات لعبن دوراً تنويرياً ونهضوياً هاماً.

كان طرح بعضهن متقدماً وأكثر عمقاً عما طرحه رواد عصر النهضة من الرجال. وهذا لا يقلل أبداً من أهمية ما طرحه الرواد الأوائل، الذي جاء تمهيداً ودعماً لطروحات الرائدات. ولكن لماذا توارت أسماء هؤلاء الرائدات وغابت آثارهن ولم ينلن حقهن من الذكر في تاريخ النضال المدون الذي تطلع عليه الأجيال؟

«ولماذا لم يعط مؤرخو عصر النهضة في بلاد الشام ومصر وغيرها الرائدات الأوائل ما يستحققنه من مكانة، ولم يقوم دورهن الأدبي والفكري والاجتماعي تقويماً منهجياً موضوعياً من شأنه أن يرفع الغبن اللاحق بهن ويفسح المجال أمام الأجيال اللاحقة للتعرف على وجوه نسائية ثقافية نهضوية لا يقل دورهن قيمة وتأثيراً عن دور غيرهن من الوجوه (الذكورية) التي امتلأت بها الكتب والصفحات الكثيرة ولم تزل؟»^(١). وإن ما وصل من أدب وفكر المرأة لا يمثل إلا النزر القليل مما

(١) - د. بشينة شعبان.

كتبته . رغم أن المرأة العربية سارت جنباً إلى جنب مع الرجل في نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين على طريق طلب العلم والاشتراك في العمل أداة للنهضة العربية الحديثة . وانخرطت في الميدان العملي والثقافي محاولة من خلال عملها وأدبها بث الوعي الوطني والقومي والاجتماعي .

وإن الإنتاج الأدبي والفكري لم يكن وقفاً على جهد الرجل ونبوغه ، بل كان ، بجانب هام منه ، حصيلة لجهد المرأة ونبوغها برغم كونها معرضة أكثر من الرجل لصنوف القهر والحرمان .

قد يكون ذلك عائداً إلى سببين اثنين :

أولاً : إن التاريخ دونه الرجال أنفسهم ، فكتبوا ما يروق لهم أو ما اعتبروه على درجة من الأهمية .

ثانياً : لم ينظر المجتمع في حينه بجدية وموضوعية إلى ما تكتبه المرأة فحسب ، بل وإلى المرأة نفسها .

وغياب ذكر المرأة لا يعني أنها لم تلعب دوراً مؤثراً وفاعلاً في النضالات الوطنية التحررية والاجتماعية في تلك المرحلة .

تقول د . هدى الصده في مجلة «هاجر» المصرية : «لماذا سقط سهواً أو عمداً من التاريخ الحديث ذكر رائدات بارزات مدافعات عن حقوق المرأة؟ مناضلات حملن لواء العلم والمعرفة في عصر كان المجتمع أحوج ما يكون فيه إليهن؟» .

وتضيف : «أليست الذاكرة الانتقائية لبعض المؤرخين والمثقفين من الرجال خاصة ، هي المسؤولة عن التمييز بين الجنسين إذا ما اختلفت بالرأي هذه الرائدة أو تلك عن معاصريها من الرجال ، أو إذا قدمت فكراً مغايراً من وجهة نظر أخرى لا تحاكي وجهة النظر السائدة أو المعبرة عن مصلحة مجتمع (ذكوري) ، وكما حدث من قبل ، ويحدث دائماً ، يتم استبعاد هذا الصوت الآخر أو المختلف ، ويفقد التاريخ أثراً مهمة على طريق التقدم . هل هناك أمل في تدارك هذا الخطأ المروع؟» .

أوضاع المرأة في بلاد الشام في تلك المرحلة

ترجع كثرة عدد المهتمين بقضية المرأة إلى أنها كانت تمثل مشكلة تعاني منها المجتمعات الشرقية الإسلامية ، وتلح على المفكرين في البحث عن حلول ناجعة ومفيدة ، فقد كانت المرأة في تلك الفترة تعاني الجهل والتخلف الذي كان يقف عائقاً بوجه كل أنواع المعرفة بالإضافة إلى تقاليد المجتمع القاسية التي تركتها سجيئة البيت بعيدة عن المشاركة في الحياة العامة في مجتمع تسوده علاقات إقطاعية قائمة على التحكم والاستبداد . بالإضافة إلى الجهل المخيم على الناس مما انعكس بشكل سلبي على وضع المرأة وتعرضت لانحطاط شديد زاد عن انحطاط المجتمع ، وفقدت أية مساهمة جدية في حركة المجتمع وحياته ومستقبل الوطن ومصيره .

ورغم هذه الأوضاع فقد برزت نشاطات متنوعة هامة للمرأة ، ثقافية وأدبية واجتماعية وسياسية ، تزايدت واتسعت حتى شملت المئات من النساء بعد التغييرات التي حصلت في المنطقة ، ووقف العديد منهن في الواقع مواقف جريئة ومتميزة ، تستحق أن تسجل في التاريخ الإنساني . وكانت هذه المواقف رد فعل طبيعي على الظروف الموضوعية التي كانت تعيشها المرأة ، وبالذات في المجتمعات العربية . فقد شاركت الرجل في تحمل تبعات الحروب والمعارك ، والتخلف والاستغلال . بالإضافة إلى التبعية والتمييز الجنسي بأشكاله المختلفة . وقد تعثرت أوضاع النساء بتعثر المشروع النهضوي العربي في نقل المجتمعات العربية من مرحلة الإقطاعية إلى مرحلة الرأسمالية والدخول في الثورة الصناعية وما يرافق ذلك من ازدهار فكري وثقافي ، وكان وراء هذا التعثر أسباب كثيرة نذكر منها :

١ - الضغط الاستعماري وممارسة الاستبداد بكل أشكاله ونهب ثروات هذه المجتمعات ، وتقييد الحريات فيها من قبل الحكام المماليك والعثمانيين .

٢ - تحجر النظام الإقطاعي وخلق واقع متخلف بسبب الانقسامات العشائرية والطائفية ، وعدم قيام قوى اجتماعية تحررية تنقل المجتمع العربي من عصر الظلام إلى عصر الثورة والمعرفة .

في هذه المرحلة لم يكن في البلاد أحزاب سياسية ونقابات عمالية ومهنية ، أو نشاطات اجتماعية بارزة إلا أن الكثيرين من مفكري عصر النهضة اجتهدوا وقدموا آراء جريئة متنورة فيما يتعلق بتطور المجتمعات العربية بشكل عام ووضع المرأة بشكل خاص .

إن الحكم العثماني المستبد آنذاك لم يسمح لمفكري النهضة في المجتمعات العربية من ممارسة نشاطهم وطرح أفكارهم بحرية رغم الجسارة التي تميزوا بها والصراحة التي اتصفت بها أفكارهم وجعلتهم يسبقون عصرهم . فقد حارب هؤلاء بشدة وتعرضوا للإرهاب والقمع والنفي والاغتيال . ورغم كل الضغوطات فقد تم الكثير من النشاطات والتحركات وعقد الحلقات التي ساعدت على تكوين قادة الحركة الوطنية العربية .

في تلك المرحلة اشتد الصراع بين القديم المهتم بصغائر الأمور والمعتقدات والخرافات ، وبين الجديد الساعي إلى إحياء المضيء من التراث العربي والاقتباس من الحضارة البورجوازية المناهضة للإقطاع في أوروبا ، ومع بداية تكون البورجوازية كطبقة في المشرق العربي أخذت الأفكار البورجوازية بالانتشار المحدود في النصف الثاني من القرن التاسع عشر وهذه الأفكار البورجوازية المتشابكة والممزوجة مع الجوانب الثورية في التراث العربي الإسلامي عرفت بأفكار النهضة العربية وحركة التجديد الإسلامي .

وقد تشعبت إلى تيارين :

١ - تيار ليبرالي علماني متأثر بالثقافة الغربية ومبادئ الثورة الفرنسية وشعاراتها .

٢ - تيار التجديد الإسلامي .

ولقد حمل كلا التيارين النهضويين الليبرالي العلماني والديني المستنير لواء مناهضة الاستبداد والجهل والظلامية .

«ورغم التأثير الذي أحدثه الرواد الأوائل فإن المتعمق في دراسة عصر النهضة العربية يرى عدم تفهم الجمهور التام لآراء الرواد، بمعنى أن أفكار النهضة والتنوير الديني لم تدخل أعماق العامة وبقيت واحات محاصرة ببهار من التخلف والجهل والخرافات والغيبات» . من «مقدمة رسالة التوحيد للشيخ رشيد رضا» .

إن المشروع النهضوي لدولة محمد علي الذي سعى إلى إقامة دولة حديثة، ونتائج التدخل الأوربي في العالم العربي في القرن التاسع عشر، وتأثير ذلك على الكتاب والمفكرين العرب واعتمادهم على منهج علمي تاريخي اجتماعي في البحث عن الأسباب الحقيقية لتخلف المجتمع العربي، دفع بعضهم انطلاقاً من هذه الرؤية الشاملة إلى طرح قضية النهوض بالمرأة والعمل على تحريرها والمطالبة بإعطائها حقوقها في الحرية والعلم والعمل .

ويلاحظ أن هؤلاء المتنورين كانوا من أنصار التمثيل بأوروبا والاستفادة من نهضتها الثقافية والحضارية، فنادوا بتحقيق إصلاحات في المجتمعات العربية انطلاقاً من مبادئ العدالة والمساواة والحرية الشخصية والمدنية، ونصرة العقل وفصل الدين عن الدولة، وفصل السلطات القضائية والتشريعية والتنفيذية بعضها عن البعض الآخر، وضمن هذا السياق طالبوا بتحسين وضع المرأة وتعليمها وتربيتها وتنويرها .

فكان ذلك أقصى ما طالب به المفكرون الليبراليون في القرن التاسع عشر أي أنهم رأوا في مشكلة المرأة جزءاً من قضية في مسار نشاطهم العام وهمهم الوطني .

يقول الباحث الأستاذ حسين العودات في كتابه «المرأة العربية في الدين والمجتمع» ص ١١٩ :

«إن المفكرين الليبراليين المتنورين عموماً لم يتعرضوا لقضايا المرأة الأساسية، كالمشاركة في حياة المجتمع ونشاطاته أو المساواة، أو الولاية وتعدد الزوجات والطلاق، أو إلى رفع الظلامات عن المرأة، لأن مرحلة التطور التي كانت في النصف الثاني من القرن التاسع عشر والظروف الاقتصادية والاجتماعية السائدة ومنظومة القيم التي ترسم توجه المجتمع، لم تكن تسمح بأكثر من المطالبة بتعليم المرأة وتربيتها وعلى أية حال كانوا أوائل المتنورين الذين أطلقوا شرارة تحرير المرأة».

وإنه من الغبن الاستخفاف بهذه المطالب في ظروف ذلك الوقت، إذا كان الجميع رجالاً ونساءً محرومين من التعليم، وكانت المرأة في المدن منزوية في بيتها لا تستطيع مغادرته إلا في حالات نادرة استثنائية. ففي مجتمع الاستبداد الشرقي والحكم الإقطاعي، والتخلف الاجتماعي والثقافي، وبيوت الحريم، والانحطاط الفكري واستلاب المرأة كلياً إنساناً وحقوقاً، كانت مثل هذه الأفكار أفكاراً تنويرية حقاً وربما ثورية وخطوة إلى الأمام دون شك، مهدت الطريق للمتنورين في نهاية القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين لكي يخطوا خطوات كبيرة في مجال المطالبة بحقوق المرأة وتحريرها.

إن طلب المساواة التامة بين المرأة والرجل في خطاب المتنورين بمفاهيمنا في الوقت الحاضر كان أمراً متعذراً لعدة أسباب :

أولها : أن مرجعية هؤلاء المتنورين هي القرآن والسنة وهما لم يقررا بصراحة ووضوح المساواة بين الرجل والمرأة ولم يعطيها كامل حقوقها الطبيعية .

ثانيها : أن منظومة القيم السائدة في عصرهم لم تكن لتفتح أمامهم إمكان رؤية المساواة المطلقة، كما لم تسمح لهم ربما بأن يطالبوا بأكثر مما طالبوا به . فكيف

يمكن المطالبة بحقوق كاملة للمرأة في مجتمع ينكر هذه الحقوق إنكاراً كاملاً، وهؤلاء الرواد كانوا يعيشون في ظروف خانقة يحاصرهم فيها الحكام والباشوات والإقطاعيون في مجتمعات تخضع كلياً للعادات والتقاليد البالية.

ثالثها: عدم وجود تجمعات أو تنظيمات أو حركات سياسية تدعم مثل هذا الطرح.

وعلى أي حال فإن آراء المتورين هؤلاء كان لها أثر كبير جداً في مسيرة تحرر المرأة. وهزت قناعات المجتمع، وفجرت آراء جديدة وشجعت شرائح اجتماعية وسياسية على جعل قضية المرأة من أولوياتها، وهيأت الأجواء لقيام تنظيمات نسائية في مطلع القرن العشرين.

كما يلاحظ أبو علي ياسين في كتابه «حقوق المرأة في الكتابة العربية منذ عصر النهضة»:

«إن كتاب عصر النهضة بحكم إنتماءاتهم الطبقة وأوضاعهم المعيشية الحسنة -يتحدثون بصورة شاملة عن المرأة في بلادهم ويقصدون تحديداً نساء المدن مع أن أكثر النساء في زمنهم ريفيات. كما أنهم ضمناً يخصصون بالحديث بنات الأسر الميسورة من الطبقات الوسطى والغنية ويهملون بنات الطبقات الدنيا أو الفقيرة، فقليل من هؤلاء الكتاب، يذكر المرأة الفلاحة أو البدوية، وإن ذكرها فبصورة عرضية، مع العلم أن هذه المرأة لم تكن قط محتاجة، بل كانت تساعد أهلها أو زوجها في الزراعة وتربية الماشية. وكذا هو الأمر تقريباً بالنسبة لنساء الطبقات الدنيا في المدن».

الصحافة النسائية العربية في عصر النهضة

ازدهرت الصحافة النسائية العربية في أواخر القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين ، فقد قامت بعض الكاتبات من سورية ولبنان ومصر والعراق بإصدار مجلات وصحف خاصة بالمرأة في القاهرة والإسكندرية وبيروت ودمشق وبغداد ، ساهمت في نشر الوعي الوطني التحرري والثقافي والسياسي بالإضافة إلى دورها في مقارنة الوضع الاجتماعي للمرأة بوصفها جزءاً لا يتجزأ من وضع المجتمع العربي .

كما ساهم العديد من المثقفات في حقل الكتابة ، في الصحافة العامة التي تصدر آنذاك . وقد تضمنت هذه الصحف والمجلات الشعر والنثر والنقد والمقالة التي عالجت موضوعات مختلفة ، خاصة القضايا المتعلقة بالمرأة وكتاباتها . وبلغ عدد المجلات والصحف النسائية أكثر من ٢٥ خمس وعشرين مجلة وصحيفة حتى العقد الأول من القرن العشرين .

وقد لعبت هذه المجلات والصحف دوراً تنويرياً وثقافياً ونهضوياً في الحياة العربية والقومية بشكل عام . وفي تقدم أوضاع المرأة العربية بشكل خاص .

عبرت معظم الكتابات النسائية بشكل أو بآخر عن :

١ - التلازم الوثيق بين النضال الوطني التحرري والنضال من أجل تحرير

المرأة .

٢ - التوجه القومي المعادي للاحتلال العثماني ، وللسيطرة الاستعمارية
للاتدابين الفرنسي والبريطاني .

(الفترة التي شهدت يقظة الوعي السياسي أولاً ضد الإمبراطورية العثمانية ،
ومن ثم ضد الانتداب الغربي) .

كانت أول مجلة نسائية تصدر في الوطن العربي هي مجلة «الفتاة» لصاحبتها
هند نوفل التي ولدت في بيروت ، ثم رحلت مع أهلها إلى الإسكندرية حيث
أصدرت مجلتها عام ١٨٩٢ م . وقد نشر في مجلة «الفتاة» عدد من الكتاب
والكاتبات في طليعتهم الكاتبة اللبنانية زينب فواز . وقد استمرت هذه المجلة في
الصدور حتى شباط عام ١٨٩٤ م .

وصدرت مجلة «الأنيس» في كانون الثاني عام ١٨٩٨ م في الإسكندرية
لصاحبتها اللبنانية ألكسندرا الخوري أفيرينوه ، بالإضافة إلى مجلة «اللوتس»
بالفرنسية ، واتخذت من مجلتها منبراً للدفاع عن المرأة العربية وحقوقها .

ومن المجلات النسائية المرموقة التي صدرت في بيروت «المرأة الجديدة»
لصاحبتها جوليا طعمة دمشقية ، وقد عاجلت في الافتتاحية الأولى لهذه المجلة
مساكن المرأة اللبنانية . وقد استمرت بالصدور سبع سنوات .

ثم صدرت تباعاً المجلات التالية :

«المرأة» لأنيسة عطا الله ، صدرت في مصر عام ١٩٠١ م .

و«السعادة» لروجينا عواد ، في مصر عام ١٩٠٢ م .

و«شجرة الدر» لسعدية عبد الدين ، في الإسكندرية عام ١٩٠١ م .

و«الحذر» لعفيفة صعب ، في لبنان عام ١٩١٢ م .

و«فتاة لبنان» لسليمة أبو راشد ، في لبنان عام ١٩١٤ م .

و«فتاة النيل» لسارة المحيا ، في القاهرة عام ١٩١٣ م .

مِنْ بَرَقَا

مجلة ادب وفن واجتماع

صاحبها

مازني باني



العدد الثامن - السنة الأولى

١٥ تشرين الثاني - سنة ١٩٢٣



الاشتراك : في لبنان وسوريا ١٢٥ غرشاً سورياً
وفي الخارج ما يعادل نصف ليرة مصرية
المراسلات : باسم صاحبة المجلة - بيروت

الطبعة العلمية - يوسف صادر - بيروت

ومجلة «منيرفا» الأسبوعية لصاحبته ماري يني من لبنان، وقد صدرت في بيروت في ٢٤ أيلول عام ١٩١٦م، أنشأتها بخط اليد في عهدها الأول مراعاة للأحوال المادية أثناء الحرب العالمية الأولى، وكانت أختها ألكسندرا تكتب المجلة بخطها الجميل. كان ينشر في مجلة «منيرفا» أدباء من لبنان ومصر والبلدان العربية، أمثال: مصطفى الرافعي وأمين الريحاني وعمر فاخوري وغيرهم. وقد ترجم الأديب عمر فاخوري كتاباً يتضمن آراء أناتول فرانس أهدته إدارة مجلة «منيرفا» إلى قرائها. وباعتراف الأديب جبران خليل جبران، فإن «منيرفا» كانت أحسن مجلة نسائية في الشرق العربي.

ومجلة «المرأة السورية» لصاحبته عفيفة كرم، عام ١٩١١م.

وبالإضافة إلى إصدار المجلات ساهم عدد كبير من النساء في الكتابة للصحافة العربية منهن: وردة اليازجي ولبيبة هاشم ولبيبة مخايل وهنا كوراني وماريانا مراش أول امرأة سورية تكتب في الصحافة، ولدت في حلب واهتمت بكتابة المقالات الأدبية والاجتماعية في مجلة «الجنان» وجريدة «السان الحال»، وغيرها من الصحف والمجلات السورية.

ومجلة «العروس» سياسية أدبية اجتماعية، أول مجلة نسائية سورية أنستها ماري عجمي عام ١٩١٠م في دمشق، واستمرت في إصدارها حتى نشوب الحرب العالمية الأولى عام ١٩١٤م. ثم عاودت إصدارها عندما وضعت الحرب العالمية الأولى أوزارها عام ١٩١٨م واستمرت حتى قيام الثورة السورية الكبرى عام ١٩٢٥م. وتناولت مجلة «العروس» العديد من القضايا التي تهم المرأة، وكانت منبراً للدفاع عن حقوقها.

وقد ربطت ماري عجمي حياتها ومصيرها بأمرين اثنين مترابطين فيما بينهما : الصحافة والسياسة . وعرفت الكتابة في سن مبكرة جداً ، وكان عندها طموحات كبيرة ، وقد تحقق حلمها الأكبر بإصدار مجلة «العروس» .

كانت ماري من أولى الصحافيات في البلاد العربية ، وقد توقفت مجلتها في مطلع الحرب العالمية الأولى ، فأخذت توزع أحاديثها ومقالاتها على المجلات والصحف العربية التي كانت تصدر آنذاك في الوطن والمهجر ، مشاركة في نشر الوعي السياسي والثقافة الاجتماعية .

لم تكتف ماري عجمي بأن تكون «العروس» منبراً للدفاع عن حقوق المرأة المسلمة فقط ، بل كانت أيضاً ، منبراً لدعم الحركة المناهضة للسيطرة العثمانية التي كانت تنكل بالأحرار الذين علق عددٌ منهم في دمشق وبيروت ، على أعواد المشانق في السادس من أيار عام ١٩١٦ م . وكانت ترى أن هناك ترابطاً وثيقاً ما بين حرية وطنها وحرية شعبها نساءً ورجالاً .

كانت المجلة تطبع في حمص ، في مطبعة قسطنطين بني أخي ماري بني الكاتبة الراحلة صاحبة مجلة «مينرفا» . وقد تضمنت افتتاحية العدد الأول من «العروس» ما يلي : «إليك العروس سيدتي فرحبي بها غير مأمورة ، ليذهب عنها شيء من (حياتها) فتسر إليك بمكنونات قلبها ، وشعائر موقفها ، عروس لا عريس لها سوى الشعب الجاثي على أقدام (حرية) يطلب بركة الوطنية تحت سماء المعلم والعلم» . فبالإضافة إلى المقالات والدراسات الأدبية التي لفتت إليها الأنظار حين صدورها ، عرف المثقفون دراستين أدبيتين قيمتين عن الأدبيتين باحثة البادية ومي زيادة .

لم تلهث ماري وراء جهازة الأقلام كما يقولون، بل استقطبت المواهب الناشئة، المندفعة للكلمة الجريئة والرأي الحق الناطق بلسان حال الظروف العصبية من اضطهاد وتنكيل مارسهما الاحتلال التركي بأبشع الصور قمعاً لأبناء الوطن.

كانت ماري تلح على الأدباء الشباب أن يتحلوا أسماءاً لمقالاتهم، حتى لا يتعرضوا لخطر الاعتقال.

كانت «العروس» تعنى بشكل خاص بشؤون المرأة وتعطيها جلّ اهتمامها، إلى جانب عنايتها بالسياسة والتاريخ والأدب وأعلام النساء. كما تضمنت بعض المقالات الفكاهية والنوادر الساخرة.

وقد نشرت «العروس»: «أن (كاهناً) كان يزوج عروسين، فقال مخاطباً العريس: «من واجب الزوج أن يحب زوجته ويكرمها ويدافع عنها، ومن واجبات الزوجة، أن تحب زوجها وتطيعه وتتبعه إلى حيث يذهب»، هنا اعترضت العروس قائلة: «هذا غير ممكن». فسألها الكاهن: «لماذا؟» فقالت: «لأن زوجي موزع بريد».



الْعَرُوشُ

مجلة نسائية علمية أدبية صحفية فطالعية

رصاصتها ماري عبده عجمي

تأسست عام ١٩١٠

اتحاد الجمعيات النسائية في دمشق
يكرم
فقيدة الأدب الراحلة الأولى
ماري عجمي

نشرت هذه المجموعة بحقيقات الفقيدة في الجمهورية العربية السورية

الباب الثالث

زينب فواز

الفصل الأول : ١ - حياتها .

٢ - زينب في مصر .

٣ - زينب في سورية .

الفصل الثاني : أعمال زينب :

١ - مسرحية الهوى والوفاء .

٢ - الدر المتثور في طبقات ربات الخدور .

٣ - حسن العواقب أو غادة الزهراء .

٤ - الملك قوروش أو ملك الفرس .

٥ - الرسائل الزينية .

٦ - كشف الإزار عن مخبئات الزار .

٧ - تعقيب على مقالة هنا كوراني .

حياة زينب فواز

زينب بنت علي بن حسين فواز -أديبة لبنانية ابنة جبل عامل (جنوب لبنان) ١٨٤٦-١٩١٤م ، رائدة من أعلام النهضة العربية الحديثة، أديبة ومفكرة وناقدة وشاعرة، إضافة إلى اهتمامها بالقصة والمسرحية والتاريخ والتراجم .

يقرن اسمها عادة بأسماء الكبار الذين نبغوا في أواخر القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين ، والذين شكلوا المدماك الأول في بناء النهضة الفكرية .

عاصرت زينب فواز عدداً من رواد النهضة المتورين الذين دافعوا وكتبوا عن تحرر الوطن وحقوق المرأة، أمثال: بطرس البستاني، فارس الشدياق، جمال الدين الأفغاني، محمد عبده، قاسم أمين وغيرهم .

وقد أشتهر هؤلاء في التاريخ ، على حين توارت أسماء مثل زينب فواز، ومثيلاتها: عائشة تيمور، ليبة ماضي هاشم، عفيفة كرم، غادة عمشيت، فريدة عطايا، ملك حفني ناصف وغيرهن كثيرات من رائدات النهضة العربية اللواتي برز دورهن كداعيات لتحرير المرأة ومساهمات في بناء النهضة العربية، وولادة الرواية العربية الأولى .

والسؤال الآن : لماذا تم تجاهل الكتابات النسائية التحررية التي لعبت دوراً في تقدم المرأة والمجتمع ، والتي لا تقل أهمية عن كتابات الرواد في تلك المرحلة وما تمثله من تخلف وظلم وفقر وقهر، خاصة بالنسبة للمرأة؟ .

كان من الصعب تعقب الآثار الأدبية والفكرية النهضة لرائدة زينب فواز ، حتى في سورية التي عاشت فيها سنوات ، ومارست فيها بعض نشاطها الأدبي والفكري (المجالس الأدبية الأسبوعية) ، وتركت في قلوب السوريين كل حب وتقدير وإعجاب ، تجلّى في إطلاق اسم «زينب فواز» على مدرسة ابتدائية رسمية واقعة في سوق الصوف - رقم ١٣ - شارع مدحت باشا ، بالقرب من شارع حي الأمين حيث كان مسكنها (وهذه المدرسة تحولت حالياً إلى مركز ثقافي دائم). غير أن الكثير من الباحثين والمفكرين السوريين المعاصرين يقولون : إنهم سمعوا بالاسم ، ولكنهم لا يعرفون عن نتاج هذه الأدبية ، إلا القليل .

ومن أجل رفع غبار النسيان عن آثار هذه الأدبية العربية الرائدة ، والدفاع عن حقها في احتلال موقعها الجدير به في قائمة المشاهير من أدباء عصر النهضة وعلمائه ومناضليه ، لابد من التعريف بها وبتأثيرها الأدبي والفكري الذي أمكن العثور على بعض منه بعد بحث جاد وطويل .

إن معظم ما كتبه طبع منذ ما يزيد عن مائة عام ، وهو غير موجود كاملاً في أي مكتبة من المكتبات التي تعنى عادة بالتراث . ومن أهم مؤلفاتها :

١ - كتاب «الدر المنثور في طبقات ربات الخدور» - ١٨٩٣ م .

٢ - «الهوى والوفاء» مسرحية - عام ١٨٩٣ م .

٣ - «كشف الإزار عن مخبئات الزار» - مفقود .

٤ - «حسن العواقب أو غادة الزهراء» رواية - عام ١٨٩٩ م .

٥ - كتاب «الرسائل الزينية» - عام ١٩٠٤ م .

٦ - «الملك قوروش أو ملك الفرس» رواية تاريخية - عام ١٩٠٥ م .

٧ - ديوان من الشعر لم يعثر عليه ، ولكنها أودعت كتبها بعض قصائده .

أما آثارها المخطوطة ، فقد ذكرت بعض المراجع أنها :

١ - «مدارك الكمال في تراجم الرجال» .

٢ - «الدر النضيد في مآثر الملك الحميد» .

بالإضافة إلى المقالات والأبحاث العديدة في الصحف والمجلات التي كانت تصدر في مصر وبلاد الشام .

وكان الفضل الكبير للمجلس الثقافي للبنان الجنوبي وأمينه العام الباحث والأديب الأستاذ حبيب صادق ، وللكاتبة الأدبية فوزية فواز التي تنتمي إلى عائلة زينب فواز نفسها ، في جمع التراث الزينبي المتناثر المهمل .

فقد أعاد المجلس الثقافي للبنان الجنوبي نشر أثريين أدبيين للرائدة زينب فواز هما «حسن العواقب» و «الهوى والوفاء» عام ١٩٨٤م ، بعد أن مضى على تاريخ نشرهما للمرة الأولى والأخيرة قرابة التسعين عاماً ، وبعد أن فقدنا من المكتبات العامة والخاصة على حد سواء منذ زمن بعيد .

وكما جاء في تقديم هذين الأثرين :

١ - إنهما حلقة أولى في سلسلة تراث زينب فواز الأدبي ، وإن ما ورد في هذا التراث فكر أصيل جدير بالقراءة والدرس ، علاوة على قيمته التاريخية لعصر النهضة العربية .

٢ - التأكيد على وفرة الإنتاج الأدبي في جبل عامل في زمن كان فيه أسيراً لسلطان القهر والحرمان . ثم إن هذا الإنتاج لم يكن وقفاً على جهد الرجل ونبوغه ليس غير ، بل كان في جانب منه حصيلة لجهد المرأة ونبوغها .

يتساءل الباحث محمد يوسف مقلد -أديب وشاعر لبناني من تبينين بلدة زينب فواز- من أين جاءت هذه الفتاة بميلها المبكر النادر إلى الكتب ؟ .

إنه لم يأت عن طريق الوراثة ، ولا عن طريق البيئة التي كانت الأمية فيها طابع الحياة العامة . فحتى أوائل القرن العشرين كان في جبل عامل قرى كثيرة تصل الأمية فيها إلى نسبة ١٠٠٪ . ولكن من الثابت أن الخلفية الثقافية

والاجتماعية والفكرية والإنسانية التي وجدت فيها زينب فواز موجودة أصلاً في البيئة العاملة. والنهضة الأدبية في جبل عامل قامت على هذا الأساس .

تقول السيدة فوزية فواز : (فزينب التي تحدثت عن ٤٥٦ أربعمئة وست وخمسين امرأة من الشرق والغرب في كتابها «الدر المثور في طبقات ربات الخدور» ، لم تذكر أي شيء عن نفسها وعن أسرتها وأنكرت ذاتها ... ولعل السبب في ذلك تمشياً مع آداب عصرها فيما يعدونه فضيلة خلقية ... وهي امرأة متمسكة بالأخلاق الكريمة التي ترفع عن الظهور . وقد تكون تعمدت السكوت عن نفسها لتترك لغيرها أن يتحدث عنها كما تحدثت عن بنات جنسها ، ولكن أياً كان السبب فقد قصرت في حق نفسها وحرمت الباحثين من المصدر الأصيل للتعرف إليها) . وبذلك تركت المجال واسعاً أمام التكهّنات والروايات الغريبة التي تقرب أحياناً من الأساطير .

ومما يحز في النفس أن أحداً من كبار المؤرخين والكتاب الذين صرفوا جلّ اهتماماتهم للتأريخ لحياة الأدباء والمفكرين في عهدها لم يولها من الاهتمام ما أولوه لمن هم دونها في المكانة الأدبية والفكرية .

يقول الشيخ أحمد عارف الزين صاحب مجلة «العرفان» (م ٨ ج ٦ آذار عام ١٩٢٣م) : «من لم يسمع بذكر هذه النابغة العاملة في هذا القرن ، سواء في سورية أو في مصر ، أو في سائر البلدان العربية؟ فزينب لم تكن أبداً مجهولة منذ أواخر القرن التاسع عشر وحتى أوائل القرن العشرين . فمن يطلع على مقدمات كتبها وما كان يأتيها من تقرّظ لهذه الكتب ، يجد فيها دليلاً على شهرتها في الأوساط الأدبية والفكرية في ذلك الحين» .

قد يكون هذا التجاهل عائداً لأسباب طبقية واجتماعية ، فهي ليست من الأسر المرموقة في ذلك الحين ، كباحثة البادية وعائشة التيمورية ووردة اليازجي وغيرهن ... فقد نشأت في أسرة فقيرة ، وفي بيت ريفي متواضع كمعظم بيوت الفلاحين في ذلك الزمن . ونظراً لفقر والديها فقد رأيا أن تحل عاملة في دار أحد

البكوات من الأسرة الأسعدية الحاكمة ، وكان مديراً رسمياً في قلعة تبين ... قضت زينب سنوات من عمرها في القلعة ملازمة لنساء آل الأسعد ، وبينهن السيدة فاطمة الخليل زوجة علي الأسعد ، (التي كان لها اهتمام بالعلم والأدب شعراً ونثراً) .

وما لبثت الصبية أن استرعت انتباه السيدة فاطمة لما تحمله من فطنة وذكاء وحب للمعرفة . فاهتمت بها وعلمتها القراءة والكتابة وشجعته على طلب العلم . وكان في بيت الأسعد مكتبة كبيرة مودعة لعالم إيراني يدعى (الكاشاني) ، تحوي مخطوطات نادرة وكتباً قيمة . وقد جعلت زينب هذه المكتبة شغلها الشاغل ، نقلت منها الكثير إلى تبين بعد أن ذهب صاحبها الكاشاني ، وكان هارباً من ظلم الأتراك ، ولم يعد .

ثم دخلت زينب ميدان الحياة الزوجية بعد زواجها من رجل من تبين ، كان يعمل (صقاراً) و(رئيس سواس) في القلعة ، ومن رجالات البيك ، يدعى محمد حمود فواز (قد يكون أحد أقاربها) . ولم تبق زينب معه طويلاً لتعثر التفاهم بينهما . بسبب التفاوت الكبير في المستوى الفكري والثقافي ، وفي الميول والأهداف ، فلم يلبث أن طلقها لعدم تمازج طبيعتهما .

ذكر الشيخ أحمد عارف الزين عن هذا الزواج : «بالطبع لم يكن الفشل فشلها هي ، وإنما فشل مجتمعهما الذي عاشت فيه ، فكيف لمثل هذه الشابة وقد التمعت في أفق تفكيرها معالم الوعي والإدراك أن تعيش مع رجل أمي بينه وبينها تفاوت كبير في المستوى الفكري والثقافي ؟ وأين لمثل هذه الزوجة أن تلتقي مع زوج لا يتسع أفقه لطموحاتها الأدبية والفكرية وتطلعاتها الإنسانية البعيدة في عصر كعصرها ؟» .

كتبت زينب فواز في «الرسائل الزينية» ، وهي من أعمالها الهامة المبكرة : (ماذا تؤثر آداب المرأة وحسن سياستها في نفس الرجل السيء الأخلاق ؟ فالمرأة إذا اقترنت بالرجل السيء ، وأوقفت قلبها عليه ، وسلمت أمرها إليه ، واجتهدت في مرضاته ، فلا ترى منه إلا الفتور ، والتمادي في طريق اللهو والغرور ، واتباع خطة

الشهوات والشُرور ، فتصير كمن كتب على صفحات الماء أو تعلق بالهواء ، فتندم من حيث لا ينفع الندم ، ويصعب الخلاص بعد رسوخ القدم . وحينئذ يلازمها الحزن الذي لا ينقطع إلا بانقطاع التواصل . وإذا كانت الحال كما وصفت ، فلم لا تفضل حالتها الأولى على قرين السوء؟

وتحررت زينب فواز من الزواج الفاشل لتتابع طريقها ، طريق العلم والمعرفة والأدب . وقد زادت بها التجربة قوة ومناعة ودفعتها إلى المزيد من دراسة وضع المرأة في البيئة والمجتمع الذي تعيش فيهما وخارجهما ، حيث لا تستطيع المرأة أن تبقى وحيدة متحررة من ارتباطها بالرجل .

وهنا واجهت زينب أوضاعاً غريبة ومعقدة ، فقد بدأ الكلام عن زواج جديد من قريب لها ، شاء أن يرغمها على الزواج منه ، بل حاول اختطافها ، وتخلصت منه بأعجوبة .

وهناك روايتان في موضوع سفرها إلى مصر :

الرواية الأولى - للسيدة فوزية فواز التي تقول : (كان من الطبيعي لفتاة طموح كزينب فواز أن تتجه أنظارها وآمالها إلى مصر ... فسافرت مثلها مثل أقرانها من أدباء بلاد الشام بمساعدة أخيها محمد علي فواز ، أو معه ! وكان كما تصفه في إحدى رسائلها قد درس المحاماة في مصر ، وقد طلبت أن توجه الرسائل المرسلة إليها إلى عنوانه . ويبدو أن أخاها كان متزوجاً هناك وأنجب ، إذ إن جريدة «المؤيد المصرية» قدمت تعازيها عندما نشرت نعي زينب ، لابن أخيها الفاضل علي أفندي فواز).

وسبب سفرها إلى مصر ، أنه كان عندها رغبة قوية في الاستزادة من العلم والمعرفة ، وممارسة نشاطها الأدبي والفكري في بيئة أكثر انفتاحاً وتحرراً من بيئتها . كانت مصر في تلك الفترة موئلاً لطلبة العلم والمعرفة ومقصداً للعاملين في الحقول الصحفية والفكرية من لبنانيين وسوريين ، نظراً لما كانت تتمتع به من حرية فكرية خلافاً لما كانت عليه بلاد الشام ، التي ما انفك العثمانيون يضيّقون على مفكراتها وأدبائها .

وهناك رواية أخرى - غير موثقة في موضوع سفرها إلى مصر نقلها جرجي نقولا باز تقول: عندما حاول أحد أنسبائها إكراهها على الزواج منه، صدته. ولما هددتها هربت إلى بيروت مع قافلة من المكارين، وراحت تطرق أبواب المنازل طالبة الاستخدام عند إحدى الأسر الغنية، حتى تهيأ لها ذلك في أسرة يوسف حمدي يكن المصرية. ثم سافرت معها إلى الإسكندرية، وهناك استرعت انتباه الأستاذ حسن حسني الطوبراني صديق أسرة يكن وصاحب جريدة «النيل»، فاهتم بها وساعدها على التعلم.

تبقى الرواية الأولى أكثر توثيقاً نتيجة بحث وتقصي المجلس الثقافي للبنان الجنوبي والسيدة فوزية فواز شخصياً.

زينب في مصر

أبدت الفتاة في مصر، ذكاءً خارقاً ووعياً عظيماً لاغتنام الفرصة الذهبية التي أتاحت لها، فلفتت بذكائها نظر حسن حسني الطوبراني الذي كان أديباً وصاحب جريدة «النيل». فتتلمذت على يديه، وأخذت عنه علوم الصرف والبيان والعروض، وتلقت علوم النحو والإنشاء عن الشيخ محمد شبلي، والأستاذ محيي الدين النبهاني.

واكتملت شخصيتها الأدبية في مصر، وحققت تطلعاتها الفكرية، التي تجلت في معالجتها لشتى الموضوعات السياسية والاجتماعية، ومقالاتها في صحف ذلك العهد سجلت أعظم إنتاج أدبي وفكري نسائي، إذ اتخذت من الصحافة منبراً لإسماع صوتها للناس، مظالبة بحرية المرأة وحقوقها...

وتظهر نزعة زينب فواز التحررية، بدعوة أبناء وطنها للاشتراك في الجمعيات والمعارض والمؤتمرات العالمية، وخاصة مؤتمر النساء العالمي في سانتياغو عام ١٨٩٣م، الذي انعقد لدراسة شؤون المرأة وحقها في التعليم، وقد صوتت المشاركات في المؤتمر يومئذ على قرار يرمي إلى تحديد تعليم المرأة، وحصر نشاطها في بيتها وأسرتها. وكانت السيدة الأدبية هنا كوراني ممثلة لنساء سورية في ذلك المؤتمر. فأبرزت زينب فواز تناهض هذا القرار، وتنتقد بعنف اللواتي أشرفن على المؤتمر، مؤكدة وجوب إطلاق المرأة في جميع مجالات النشاط الإنساني، ولا سيما في ميدان العلم.

كانت زينب فواز ترى أن نضال المرأة العربية جزء من نضال نساء العالم من أجل المساواة والحرية، وكل نجاح يحققه المرأة في أي مكان هو نجاح لنساء العالم، كانت متقدمة جداً بطرحها على الطروحات الدائرة في الغرب والشرق آنذاك.

وتحت عنوان المرأة والسياسة «الرسائل الزينية» ص ١٩ - «جريدة النيل»، ترد أيضاً على السيدة هنا كوراني التي كتبت مقالاً في جريدة «البنان» تدعو فيه إلى حصر المرأة همها في منزلها وإقلاعها عن مزاولة الأعمال الخارجية المختصة بالرجال كالسياسة مثلاً، وكان ذلك على أثر ظهور حركة نسائية في لندن، أيام غلادستون، تطالب بأن تشارك المرأة في سياسة البلاد. فهبت زينب تؤيد هذه الفكرة، وتحمل على كل من يقف ضدها. وقد ورد في مقالها: (مادام الرجل والمرأة متساويين في المنزلة العقلية، وعضوين في الهيئة الاجتماعية، ولا غنى لأحدهما عن الآخر، فما المانع إذا اشتركت المرأة في أعمال الرجل، وتعاطت العمل في الدوائر السياسية، وغيرها، متى كانت كفؤاً في تأدية ما تطمح إليه؟).

كانت زينب فواز أول من طالب بتحرير المرأة في العالم العربي، حتى قبل دعوة قاسم أمين، رائد مناصرة المرأة وعائشة التيمورية. بل كانت أول صوت نسائي في مصر على طريق النهضة والتحرير، وبالطبع قبل مي زيادة وهدى شعراوي. وهكذا رأينا زينب تنادي بمسلمات جديدة، وتدعو إلى سن قوانين جديدة تنظم حياة المرأة، وتضمن لها حقها بالعلم والعمل. فكانت أول امرأة تحمل قضيتها بنفسها وتطرحها أمام المحاكم الإنسانية. وأول رائدة تحمل مثل هذه الرسالة في الشرق العربي كله، معتبرة أن الحضارة والتطور والإصلاح لا تكون إلا عن طريق العلم والعمل، منوّهة بدور المرأة الفعال في إقامة مجتمع متمدين راقٍ.

من هنا فإن القيمة الأدبية والفكرية لزینب فواز هی أسبقیتها فی رفع صوتها بالدفاع عن حقوق المرأة الشرقية والدعوة إلى تعلیمها . أما قاسم أمين فقد كان متأخراً عنها بمبادئه بتحرير المرأة ، فمن الثابت أن رسائلها «الزینبية» فی موضوعات المرأة التي كانت تنشرها فی الصحف المصرية ، بدأت قبل عام ١٨٩٢ م ، بينما لم ینشر قاسم أمين کتاب تحرير المرأة إلا عام ١٨٩٩ م .

والمعروف أن زینب فواز كانت ذات توجهٍ وطنيٍّ مؤيدٍ لمصطفى كامل زعيم الحزب الوطني ، الداعي إلى خروج الإنكليز من مصر . وكانت تشارك فی اجتماعات هذا الحزب ونشاطاته ، وبسبب وجودها ، غيّر مصطفى كامل الصیغة التي كان يبدأ بها خطابه من «سأدتی» إلى «سیداتی سأدتی» .

کتبت زینب رسالة إلى الشيخ أحمد عارف الزین صاحب مجلة «العرفان» ، الذي انتقد فی إحدى مقالاته طلبها إطلاق حرية المرأة فی جميع مجالات النشاط الإنساني ، تقول فیها : (أما ما جال فی فکر سیادتکم من أن المرأة لا تقدر على القيام بأعمال الرجال ، فهو غلط أيها الفاضل . وها هن نساء الغرب يتفوقن على الرجال كما تدل سيرهن التي وضعتها فی الکتاب المرسل إليك «الدر المنثور فی طبقات ربات الخدور» . ونحن نساء الشرق لا یمنعنا الحجاب من التفوق والخوض فی کل مجال) .

كانت زینب فواز ذات نظرة شمولية ترفض أن تجدد المرأة نشاطها فی دور واحد دون سواه ، وبذلك تقدمت على رائدات عصرها ، وتعدى اهتمامها وضع المرأة فی بلادها لیشمل الوضع النسائي عامة . ووقفتها الشجاعة الواعية ، ومناهضتها لقرارات المؤتمر النسائي العالمي دلیل على ذلك .

لم تكن زینب تريد من إثباتها فضل النساء سوى تعزيز شأنهن ، واعتراف الرجل بأن المرأة مساوية له عقلاً ومرتلةً .

لم يكن صوت زينب فواز صوتاً عادياً، وقد أسمعته لكل من اهتم بالأدب، أو بنهضة المرأة في زمانها من مصر إلى بلاد الشام. ورغم رصوخها لبعض التقاليد، فلم تكن زينب راضية ببقاء المرأة العربية مراوغة مكانها، بل كانت ترسل النداء تلو الآخر، وتحثها على النهوض عبر مقالاتها المتعلقة بالمرأة. المنشورة في عدد من الصحف والمجلات في مصر، التي كانت واسعة الانتشار في الأقطار العربية وفي مقدمتها: «النيل»، «المؤيد»، «الأهالي»، «المهندس»، «الفتاة»، «المقتطف»، «أنيس الجليس»، «اللواء» وسواها:

كانت زينب جريئة في التصدي الفكري للنهوض بالمرأة والمجتمع عن طريق العلم والمعرفة، وذلك في عهدٍ لم يكن فيه صوت المرأة مسموعاً. وكثيراً ما ناظرت الأدباء في هذا الموضوع، رغبة منها في التأكيد على إمكانية المرأة، وكم كانت تنتفض ثائرة إذا قرأت أو سمعت أن واحدة من بنات جنسها أعلنت رأياً فيه شيء من التحفظ على حقوق النساء، كما في ردها على الأدبية هنا كوراني وغيرها.

تناولت زينب فواز موضوعات كثيرة متنوعة، فتحدثت عن الصداقة والوطنية والجوع والمرض. كما كان لها مواقف سياسية جريئة، من أمثال ندائها إلى أبناء أمتها تدعوهم فيه إلى طرد الاستعمار. فكان هذا النداء الأول الذي يصدر عن امرأة عربية في تلك الفترة، تقول فيه: (لماذا تصبرون، ولأي شيء تنتظرون؟. إني ليحزنني ما أراه في حالة أبناء الوطن من الذل والامتهان. ويذيب المهج تأسفاً وحسرة على أمة تقطعت بها الأسباب، وحرمت ظلماً وعدواناً من منافع بلادها، وقد تمتع الأجانب بتلك المنافع دون أبناء الوطن. حتى إن الوطني يطرد من محل خدمته ويخوض في بحار الفقر، وقد يلهونه برتبة أو نيشان ليفتخر به على أقرانه).

وبعد أن تعدد مساوئ الاستعمار، ونتائج تعسفه، تقول: (هذا وحكومتنا ساهية غافلة لاهية، وقد ضلت منها الأفهام، وغلبت عليها الأوهام، وهي خاضعة لعوامل الاحتلال، متناسية مصالح الأمة، متمسكة بمنافع رجالها الشخصية.

هل تخشون أيها الرجال أن تسلب منكم المناصب ، لو أنصفتكم هذه الأمة
التعيسة التي توليتم شؤونها ويتولاها غيركم من الأجانب؟ ألم تنظروا إلى الأمة
البويرية وما فعلت في سبيل استقلالها؟ وكيف أنها اختارت الموت أو تعيش حرة لا
تقبل السلطة البريطانية؟ ألم تروا أن الحكومة البويرية ألقت من الضعف قوة
وقاومت هذا الطود العظيم؟.

لم أسمع بأن حكومتنا عارضت رجال الاحتلال في شيء ما. ولو عارضت
في أمر يعود على أبناء الوطن لنجحت. ولكن وجدكم رجال الاحتلال لقمةً لينةً
هينة المأكّل فابتلعوكم.

وإني ليسرني أن أرى من أبناء وطني روح الحياة، فيؤلفون الأحزاب،
ويدافعون عن حقوقهم المهضومة، فلتقو منكم العزائم أيها الرجال، فأقدموا على
العظائم، وقد علمتكم كيف يقترن العلم بالعمل. وإني لأرى من خلال الحجاب
أن فيكم الكفاءة لأن تقفوا أمام العالم الدولي، وتناضلوا مدافعين عما لكم من
الحقوق، فهبوا من رقادكم أيها المسلمون، واعلموا أن الحكومة لا تسعى، ولن
تسعى في ترقيتكم، فالأجدر لكم أن تسموا بأنفسكم، والله المستعان).

إنها ثورة فعلية، وتمرد على كل أنواع التعسف والقهر، ثورة صادقة كمعظم
أرائها التي بثتها في مختلف الصحف المصرية في ذلك الزمان.

لقد كان جلّ اهتمامها أن تحقق ما كانت تصبو إليه نفسها من خلق أساليبٍ
للعيش أجدى وأفضل، لتكوين مجتمع أكثر تلاحماً وانسجاماً. مجتمع قائم على
العدالة الاجتماعية وتحقيق المساواة، ولشد ما كان يؤلمها في هذا المجال ما تراه في
أبناء أمتها من تخاذل وخنوع وذل. فترفع صوتها مدوياً في الشرق والغرب تهيب
بهذا الشرق أن ينفذ عنه غبار التواكل والجهل والغباء، وأن يحتكم للعقل
والرأي، فهما السبيل إلى العلا والمجد ومواكبة الحياة، فتقول:

واها رجال الشرق صرنا عبرة
بين الورى من سامع أو رائى
وهناك فى الأصلاب قوم بعدنا
يحصون ما يمضى من الأبناء
فلئن نبأ السيف الصقيل فى النهى
والعلم، سيفاً حكمة ودهاء
ولئن كبا الطرف الجواد فلم يزل
للعقل ميدان لنيل علاء
ولئن أبى ذو الحق نيل رجائنا
فالرأى يضمّن نيل كل رجاء
هيهات ما العميان كالبراء
كلا، ولا الجهلاء كالعلماء
نروي عن الماضيين «ما فعلوا» فما
يروى بنو الآتى عن الأبناء؟

زينب فى سورية

وصلت شهرة زينب إلى سورية، وأعجب بأسلوبها الكاتب السوري أديب
نظمي الدمشقي المولود فى دمشق عام ١٨٤٠ م. وكان يتعاطى الصحافة والأدب
ورئيس جريدة «الشام»، وهى أول جريدة إخبارية اجتماعية صدرت فى دمشق عام
١٨٩٦ م. كما كان رئيس كتاب غرفة التجارة فى ولاية سورية، ثم معاون مدع عام.

استمر الاتصال الفكري والكتابي بين أديب نظمي وبين زينب فواز حتى انتهى الأمر بهما إلى الزواج الذي ظنت زينب أنها ستجد فيه تحقيقاً لسعادتها، ومجالاً أوسع لانطلاقتها الأدبية، وتحقيقاً لرغبة الأمومة التي كانت تقدرها، وعقد له عليها وهي في الإسكندرية عند أستاذها حسن حسني الطوبراني، وحضرت إلى دمشق وهي زوجة له شرعاً.

كان قدومها من الإسكندرية إلى بيروت بالباخرة، ومن بيروت إلى الشام بالسكة الحديدية، ثم إلى قرية الشيخ مسكين، ومنها ركبت بغلة مطهمة مكسوة-وهي مركوب الأكابر في ذلك الحين- إلى حيث يقيم أديب نظمي في قرية (الشيخ سعد) وهي قرية من قرى حوران، اختارتها الحكومة العثمانية لوجود ينابيع فيها، وعلى مقربة منها بناء أثري يدعى (دير أيوب) اتخذته كمقر للمتصرف، وأمرت بعض الموظفين ببناء الدور إلى جانبه لسكناهم، ومن بينهم أديب نظمي.

إلا أن زواجها من أديب نظمي لم يدم أكثر من ثلاث سنوات أقامتها بين حوران ودمشق، ثم ضاقت ذرعاً بحياتها الجافة القاسية، وكان أشد ما يضايقها أنها لم تجد في دمشق في حينه ما كانت تجده في مصر، من فرص كتابة ونشر ونشاط اجتماعي، بالإضافة إلى عدم وصول الصحف والمجلات المصرية في أوقات متقاربة، إضافة إلى أن بعض الصحف كان محظوراً عليه الدخول إلى بلاد الشام من جهة، ولأن البريد لا يأتي سوى مرة واحدة كل أسبوعين، وأحياناً يتأخر شهراً من جهة ثانية. بالإضافة إلى ما اكتشفته من أن لزوجها ثلاث نساء غيرها، وأربع بنات من زوجته الأولى زكية التركية. فأذاها هذا الأمر، وكان من الطبيعي ألا ترضى بوضعها زوجة رابعة. وأن لا يعمر هذا الزواج طويلاً، خاصة أنها كانت ضد تعدد الزوجات، وكثيراً ما كتبت في مساوئه وأنه وبال على الطرفين، لأنه يقضي على المرأة بالغيرة، وعلى الرجل بنكد الدهر، ويورث الأولاد العداوة بعضهم لبعض أشد من عداوة الأمهات.

والجدير بالذكر أن أديب نظمي حاول أن يوفر لزینب كل ما من شأنه أن یرضي رغباتها الفكرية، فاستقر في دمشق، ظناً منه أن الحياة فيها أسهل من الحياة في قرية منعزلة، وأكثر انفتاحاً على الأجواء الأدبية. وبالفعل فقد نقل زوجها تلك الأجواء إلى داره حيث كان ینعقد المجلس الأدبي الأسبوعي ویشارك فيه وجوه الأدباء والمفكرين في دمشق، أمثال: حسن عبد المجید الدوماني، أبو السعود مراد، عبد القادر بدران، سليم عنحوري، رشید الحشيمي، سيد السلطجي، صالح طه، محمود حمدي، یوزباشي العساكر الشاهانية، حسین حسني، عمر نحولي-من صيدا-، عبدو الحمصي، صالح وهب البغدادي، محمد عبد المجید الدوماني-نسبة إلى دوما-، وغيرهم من أدباء ومفكري ذلك العهد.

كان هؤلاء جميعاً یحضرون مجلس زینب فواز، ويتعاطون الشعر والأدب نظماً وتشطيراً. وكان أديب نظمي زوجها رسولاً بينها وبين القوم، إذ تجلس هي وراء ستار قريب، أو في غرفة مجاورة... یحمل منها وإليها ما قالت وقالوه، إن التقاليد الصارمة كانت تحول دون انطلاق المرأة حتی ولو كانت كاتبة أو مفكرة، انطلاقاً كلياً في ميادين الحياة. ومع ذلك فرضت زینب شخصيتها، لكنها لم تستطع في هذه الظروف القاسية أن تكون رائدة متحررة من رائدات الفكر الغني، فأحست بغربتها وبركود انطلاقتها الأدبية، إذ من الثابت أنها انقطعت عن الكتابة في تلك الفترة، ثم تآقت نفسها إلى العودة إلى القاهرة، خاصة أنها لم تصادف سعادة في حياتها الزوجية في دمشق.

وهكذا أفاق الزوج ذات يوم لیكتشف أن زینب لم تعد تطيق البقاء في هذا الجو، فما كان أمامها إلا الطلاق والعودة إلى مصر تاركةً في قلب أديب نظمي حزناً شديداً على فراقها، وفي قلوب السوريين الذين عرفوها وأحبوها كل حب مع التقدير والإعجاب.

ويقال إنه عندما سئل أديب نظمي ، إذا صدف أن تشاجر مع زينب أو
ضربها ، أجاب شعراً :

رأيت أناساً يضربون نساءهم
فشلت يميني يوم أضربُ زينباً
فزينب شمس والنساء كواكب
إذا طلعت لم تُبقِ منهن كوكباً

وفي مصر عادت زينب فواز إلى متابعة حياتها الأدبية والفكرية . إلا أن كل ما
لافته من شهرة ونجاح لم يستطع أن ينسيها وطنها الأول ، فقد كانت دائمة الحنين إلى
ربوع طفولتها (تبين) ، وعبرت عن شوقها في قصيدة وجدانية أرسلتها إلى صاحب
مجلة «العرفان» ، تقول فيها : (ذكرتني يا صاحب العرفان ما لا أنساه من معالم
أوطاني ، فنطق لساني مخاطباً قلعة تبين :

يا أيها الصرح ، إن الدمع منهمل
فهل تعيد لنا يا دهر من رحلوا
وهل بقي فيك؟ من ينعي معي فئة
هم المقادير ، في يوم الوغى ، الأول
قد كنت للدهر نوراً يستضاء به
اخنى عليك البلى يا أيها الطلل
كم زينتك قدود الغيد زافلة
بالعز تسمو ووجه الدهر مقتبل

أبكىك يا صرح كالورقاء نادبة
شوقاً إليهم، إلى أن ينتهي الأجل
قد كنت مسقط رأسي في ربي وطني
أن الدموع على الأوطان تنهمل
تبين! إن كنت في بعدي على حزن
فاليوم، يوم رجوعي، القلب يشتعل
وقفت وقفة مشتاق به شغف
علي أرى أحداً يحيا به الأمل
إذا أحبة قد سارت ركابهم
فزاد شوقي كما قلت بي الحيل
«القلعة» الشوق! لا الوادي بها فرح
كمعهده بالألى كانوا ولا الجبل
أعلى هيوسنت^(١) أبراجاً لها عجبا
تصارع الدهر لا ضعف ولا ملل).

نلمس في هذه الأبيات حنين زينب فواز إلى وطنها، رغم أنها كانت تعرف
أن أحببتها قد رحلوا، وإن الأمور في القلعة قد تغيرت، وهي وإن كانت تكابد
الشوق الذي لا ينفك يزداد إلا أنها لا تستطيع أن تفعل شيئاً. فتقف وقفة العاجز
الذي يعيش حالة عنوانها، ثنائية القلب يشتعل قلت بي الحيل.

(١) - هيوسنت: اسم باني قلعة تبين.

ويبدو أن الأدبية زينب فواز كانت تنوي العودة إلى تبين، ولكن المرض ألمّ بها وحال دون تحقيق أمنيتها، وبقيت الأدبية تعاني هذه الحالة، إلى أن توفيت في السابع والعشرين من كانون الثاني عام ١٩١٤ م. وجاء في النعي الذي نشرته الصحف اللبنانية والمصرية في حينه :

(نعت إلينا أنباء مصر المرحومة زينب فواز الكاتبة والشاعرة والمؤلفة، وأول امرأة اشتهر اسمها في عالم الأدب والكتابة في الصحف. وقد نالت شهرة بعيدة في حياتها ونالت حظوة كبيرة عند كبار أدباء مصر وسورية ولبنان).

كما صدرت مجلة «العرفان» في السابع والعشرين من كانون الأول عام ١٩١٤ م، وفيها الخبر التالي :

(نعت إلينا أنباء مصر المرحومة زينب فواز، وهي عاملية ولدت في قرية تبين من أعمال صور جنوب لبنان، واطلعنا على كتابها «الدر المشور في طبقات ربات الخدور» لنرى إذا كانت قد ترجمت لنفسها فيه، فلم نحظ ببغيتنا.

هذه هي فقيدة الآداب العربية اليوم، التي لم يعرف لها أهل هذا الجيل حقها، شأنهم في عدم تكريم نوابغهم، فضلاً عن نابغاتهم. وقد انتقلت لجوار ربها عن عمر ذرّف على الستين تاركة أثراً خالدةً وذكرى جميلة. تغمدها الله برحمته وأسكنها فسيح جنّته).

ماتت زينب فواز وفي خيالها طيف المرأة العربية التي ناضلت من أجلها طيلة حياتها. عاشت أموراً مصيرية هامة وطنية واجتماعية وتفاعلت معها وأحست بالالتزام تجاهها. فانطبع أدبها بتلك المعاناة.

تقول الأدبية إميلي نصر الله في مداخلتها في ندوة المجلس الثقافي للبنان الجنوبي عن زينب فواز إنها: (رحلت بعد ما حملت رسالة بعث المرأة العربية من

جمودها ورجعية محيطها . وصورت المجتمع المصري على حقيقته ، خصوصاً
أوضاع المرأة فيه ، وقد مكنتها خبرتها ونظرتها الثاقبة وتحررها الفكري من كتابة
أعمال في غاية الأهمية .

وإذا بقيت بعض الزوايا من حياة هذه الأديبة يجهلها الباحثون وكتاب
السيرة ، فلأن زينب اهتمت بالكتابة عن غيرها ، ولم تكتب عن نفسها ، وربما تركت
أمر ذلك لمن يأتي بعدها .

ولا أجد أفضل من وقفها الفلسفية ، خاتمةً لكلمتي عنها ، إذ قالت :

(بدء الحياة وجود حيث نغشاه
نظل نرجو وما نرجوه نخشاه
والمرء في جوهر الدنيا حكى عرضاً
يزول عنها وتبقى عنه دنياه
والعيش في كرة الغبراء مشغلة
بين الحوادث والعقبى قصاراه
والجمع مهما صفت أيام نضرته
فإن تبديد ذاك الشمل عقباه
والسعي في الدهر آمال يمر به
عمر تحيل أمانيه منياه
لا شيء من زينة الدنيا ساكنها
سوى محاسن ما تبقىه ذكراه)

أعمال زينب فواز

كانت زينب فواز أديبة ملأت كتاباتها أسماع أبناء وبنات عصرها ، فقد تركت إنتاجاً أدبياً وفكرياً متنوعاً ، توزع بين مطبوع ومخطوط ، وتراوح ما بين الرواية والأدب الاجتماعي والقصة والمسرحية والشعر ، عدا عن التراجم . ولكن المؤسف أن معظم أعمالها مازال الحصول عليه صعب المنال .

يقول الكاتب المصري حلمي النمنم في كتابه «الرائدة المجهولة» : (وإذا عدنا إلى ثمانينات وتسعينات القرن الماضي ، فستقابلنا سيدة ملأت كتاباتها أسماع ذلك الزمن ، مقالات ومناظرات وتأليف كتب ومشاركة في القضايا السياسية والاجتماعية ، مع التركيز القوي على قضايا المرأة وحقوقها ، هي زينب فواز . وكانت معاصرة للأدبية والشاعرة عائشة التيمورية التي كتبت قصيدة في الإشادة بأحد مؤلفات زينب « الدر الثور في طبقات ربات الخدور » وسبقت باحثة البادية بعقود) .

أعمالها المطبوعة :

(*) - في المسرح : «الهوى والوفاء» مسرحية طبعت عام ١٨٩٣م في مطبعة الجامعة - شارع وجه البركة - ثمرة ٤٢ .

(*) - في السيرة : « الدر الثور في طبقات ربات الخدور » طبع في مصر في المطبعة الكبرى الأميرية - المشهورة بمطبعة بولاق عام ١٨٩٣م .

(*) - في المقالة :

١ - «الرسائل الزينية» - مجموعة مقالات نشرت في أكبر الصحف المصرية المعروفة آنذاك . جمعت في كتاب من ٢١٨ صفحة . وقد رتبت المقالات حسب تاريخ نشرها عام ١٨٩٢-١٨٩٩ .

٢ - «كشف الإزار عن مخبئات الزار» مجموعة مقالات تتحدث عن واقع المجتمع المصري والآفات الاجتماعية المسيطرة عليه . نشرت في مجلة «النيل» .

(*) - في الرواية :

١ - «حسن العواقب أو غادة الزهراء» طبعت عام ١٨٩٩ في مصر في مطبعة هندية - شارع المهدي - بالأزبكية .

٢ - «الملك قوروش أو ملك الفرس» رواية تاريخية غرامية ، طبعت في مصر عام ١٩٠٥ م في المطبعة الهندية .

(*) - في الشعر : ديوان لم يعثر عليه ، ولكنها أودعت كتبها بعض قصائده . مثل وقفها أمام قلعة تبين تبشها شوقها وحنينها عن بعد ، آملة العودة إلى ربوعها الأولى .

مقاطع من ديوان شعرها ، تم العثور عليه :

للشرق فضل في البرية إنه يأتي الوجود بكل حسن معجب

والغرب أظلم ما يكون لأننا نشقى بفرقة شمسنا في المغرب

وقالت متغزلة :

لا زال قلبي مدى الأيام خفاقا وبدر حسبك يجلو العين إشراقا

تكون الجسم منه من سنا قمر حتى تكامل الماعاً وإيناقا

نور تجلى على الأرواح منفرداً حتى جلى منه في الأحشاء إحداقا

سرى غرامك في قلبي وفي جسدي
كلي بك مشغول ومرتب
وأصبح القلب من وجد يذوبه
لذاك أثر إنقماماً وإخراقاً
فلست أشكو إلى لقياك أشواقاً
نور الشبيبة تهيماً وإشفاقاً

وقالت أيضاً:

جمعتني يوماً والحبيب منازل
دارت كؤوس الأنس فيما بيننا
وغدا يعاطيني مدام حديثه
مالت بنا الصهباء في سنن الهوى
جاذبته نحوي وكان مقنعاً
فلمست بدر التم بين أنا ملي
وتعطف الدهر الذي هو باخل
وبدا لدينا في الغرام دلائل
واللحظ بالسحر الحلال يغازل
حتى وجدنا للكلام أوائل
فتمایل القد الرطيب العادل
لكنه قد حال دوني حائل

وقالت في رثاء أخيها محمداً الذي توفي عام ١٩٠٣م بقصيدة مطلعها:

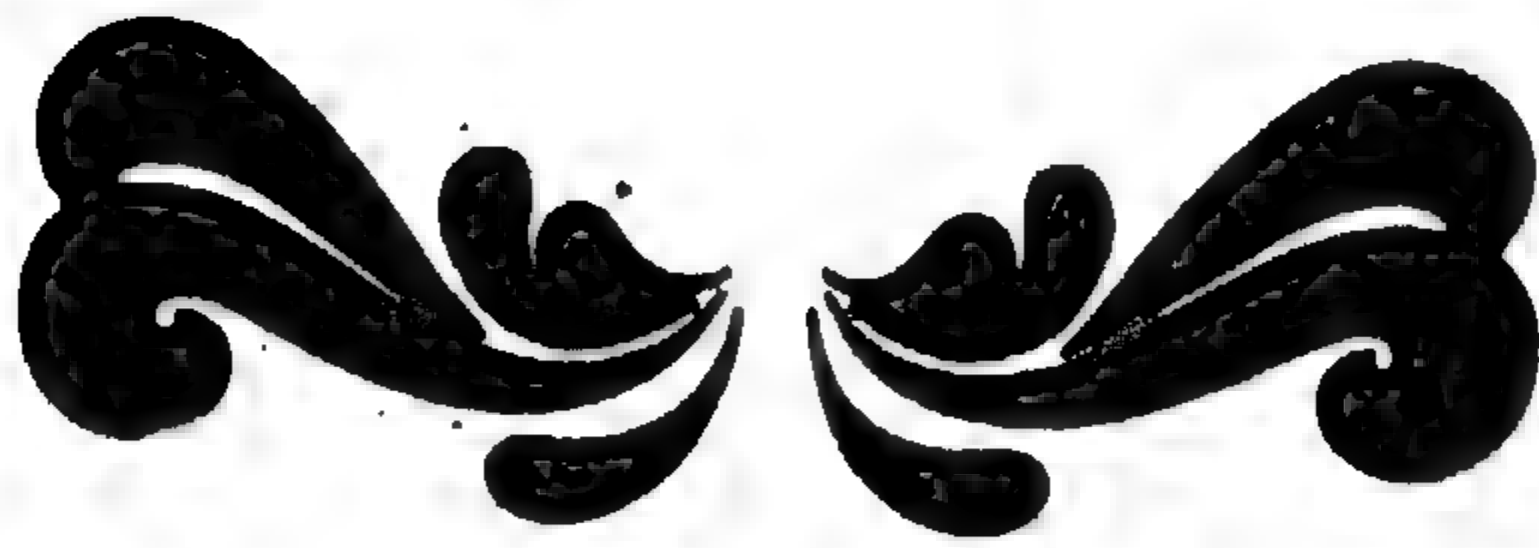
مصائب عظيم الوقع في النفس هائل
سأبكيك ما الأطياف تألف وكرها
وخطب جسيم الصدع للقلب غائل
وما صدعت بين الصدور البلايل



الهوى والوفاء

(مسرحية)

فأرست أربعة فصول



مسرحية الهوى والوفاء

«الهوى والوفاء» مسرحية في أربعة فصول، وأربعة وتسعين صفحة، وهي عبارة عن قصة حب تدور حوادثها في العراق بين البصرة وبغداد، وتتخللها آراء ومواعظ ذات مغزى خلقي غايته التوجيه والإرشاد. وقد عرّفتها المؤلفة زينب فواز نفسها بقولها: (هي فوتوغراف واقعة عصرية، عمّن جمعتني وإياهم نعمة الصدفة، ورابطة الصداقة والمعرفة، اخترتها لرقّة موضوعها وغرابة أسلوبها).

حاولت زينب نقل صورة عن حياة الشرق إلى المعرض الكولومبي عبر مسرحيتها هذه، فقد جاء في نهاية إحدى رسائلها للسيدة بالمر «مسؤولة القسم النسائي في المعرض» قولها: (أخبرك أيتها العزيزة أن لدي الآن رواية تشخيصية من حوادث عصرنا الحالي، وأشخاصها من أعز أصدقائي، فإن أمرتني أرسلها لك، حتى إذا حازت إعجابك بعد ترجمتها، تأمرين تشخيصها في المعرض المذكور، كصورة عن حياتنا في الشرق).

إن تطور الأحداث، ودقة وصف الشخصيات، في هذه المسرحية، يعبر عن إدراك عميق لخصائص العمل الموجه بشكل خاص إلى جماهير النساء.

وقد أشاد حسن حسني الطويراني صاحب ومحرر جريدة «النيل» بمسرحية الهوى والوفاء بنظم قصيدة، جاء فيها:

أم ذاك قسٌ في عكاظٍ خطب
 مالتُ بنا من نشوةٍ في طرب
 تُهدي لرائيها المعاني والعجب
 بالماسِ في ألواحٍ صُرفِ الذهب
 على جَينِ الشمسِ شعراً وقب
 كالراحٍ في كأسٍ صفا واضطرب
 فكراً بدت أنواره واحترجب
 آثار رباتٍ خُدر العُرب
 ولتسمُ في الفضلِ أعالي الرُتب
 بعلمها والمرءُ مع ما أحب
 بل صار ذاتياً لها وانتسب
 تقولُ يا سبحان من قد وهب
 فقلتُ تاريخاً لها قد وجب
 رواية فاقَتْ جمال الأدب

هذا يراعُ بارعٌ قد كتب
 أم روضةً غناءً، أفنائها
 مناظرٌ في كلِّها حكمةٌ
 ما حق أن تُسطر أسفارها
 لا بل جديرٌ أن يرى نفسها
 رقت معانيها وألفاظها
 جادت بها ذاتٌ عفافٍ سمت
 مفضالةٌ أحيتْ بأدبها
 فلتزده في عصرها زينبُ
 أحبت الشرقَ فشمساً غدت
 لم يفتد العلمُ لها حليةً
 وهذه آثارها أقبلت
 رواية جاءت لأهل النُهي
 أنعم بتمثال الهوى والوفا

كما قام الأستاذ الأديب عبد الله فريج بتقريظ المسرحية، قائلاً:

إليك سعداً رنتُ عينُ العنايات
 تحني الكُهلُ له في الفضلِ هامات
 حلیم طبع لطيف الخلق والذات
 حتى به قدرقي أعلى المقامات
 أزهى رياضٍ وجناتٍ عليّات

يا مصرُ بشرى بأنواع المسرات
 لقد أتاك ملكٌ في شبيبته
 ملكٌ عدلٍ همّامٌ فاضلٌ فطنٌ
 شهمٌ صَباً لاكتسابِ الفخرِ من صِغَرٍ
 به غدت مصرٌ في أيام دولته

كانها كعبةٌ أضحى يحجُّ لها
والعلمُ في عصره أعلامُه خفقتُ
عصرُ به الشرقُ في آفاقه سطعتُ
فما عجيبُ إذا الغادات قد نبغتُ
لا سيما زينب الحسناء من وُصِفَتْ
أديبة العصر ذات الخدر من شُرِفَتْ
في كلِّ علمٍ لها الباع الطويلُ كما
تثني عليها جميعُ الخلق في أدبٍ
لها يراعُ رعاها الله من عَطَبٍ
أهدتُ لنا من نظيم الدرِّ فكرتها
فيها المعاني إلى أهل النهى طلعت
سحرٌ حلالٌ إلى القراء فيه أتتُ
لنا شمسُ الهدى في أفقه بزغتُ
واليومَ أذرقُ طبعاً في محاسنه
هذا كتابٌ به جلُّ الهوى بوفاء

كلُّ الملا في الورى من غيرِ ميقاتٍ
فنگست لجيوشِ الجهلِ راياتٍ
شموسُ فضلٍ بأنوارِ بهياتٍ
فيه وفُزن لدى سبقِ بغاياتٍ
بكلِّ فوزٍ وفخرٍ بين غاداتٍ
كتاجِ فخرٍ على هامِ الأديباتِ
في كلِّ فنٍ لها أوفى مقالاتٍ
من سيداتِ تحاكيها وساداتٍ
له فعالٌ تحاكي السمهریاتِ
روايةً هذبتهَا بالكمالاتِ
بدورتم زهتُ في وسطِ هالاتِ
بمعجزاتِ وآياتِ جلياتِ
فنورها قد محالِ لالِ الضلالاتِ
فيه تغنتُ بتاريخين أبياتي
بالفخرِ فيه صفًا نادي الرواياتِ

كما قام بتقريظها الأديب جورج مرزا، مدير جريدة النيل، فقال:

هذي عقودُ جُمانٍ
أم الثريا تجلَّتْ
بل تلك آياتُ حسنِ

في سيمط درمُ حبيبٍ
على انتظامِ مبرتبٍ
من فكرةٍ ليس تُغلبُ

لطفنا أنامل زينب	رواية غمقت هـا
في كل فن بطلب	من أهل فواز فـازت
يطري عليها ويطرب	رواية كل راو
وهي الوفا للمهذب	هي الهوى للمُعنى
وأين نقّاش يُعجب	فأين مولير يُروى
هلم كي نتسألب	يقول هذا الهذا
براعة من محجب	فقد أغارت علينا

الذِّكْرُ الْمُنْبَشُورُ
يَوْمَ
طَبَقَاتِ زَيْنَبِ بْنِ جَدِّهِ

تأليفُ
الأديبة الفاضلة السيدة
زَيْنَبِ بِنْتِ يَوْسُفَ فَوَّاز
العاملي

دار الشريعة
للطباعة والنشر
بيروت - لبنان

الدر المنشور في طبقات ربات الخدور

يعتبر «الدر المنشور» من أكبر وأشهر كتب زينب فواز، وأكثرها قيمة أدبية وموضوعية، طبع عام ١٨٩٣م، ويقع في ٥٥٢ صفحة من القطع الكبير.

وقد ترجمت في هذا الكتاب لعدد من النساء الشهيرات في الشرق والغرب، ومن مختلف طبقات الهيئة الاجتماعية. جمعت مادته من كتب تاريخية وأدبية تقرب من أربعين مؤلفاً، بالإضافة إلى ما أخذته من مقالات تؤيد تقدم المرأة وتدعو إلى تعلّمها. وقد ذكرت في مقدمة الكتاب المصادر التي جمعته منها، واستندت إليها في تأليفه.

قدمت في كتابها «الدر المنشور» أمثلة ونماذج نسائية من مختلف بلدان العالم، ومن مختلف العصور التاريخية، بعضهن تسلم مقاليد الحكم وإدارة الدولة، وساهمن في صنع القرارات الهامة، وحشد الجيوش، وخضن المعارك والحروب... إلخ.

ويعتبر هذا الكتاب من أشهر الكتب القديمة كمصدر معتمد، لكل من يؤلف في موضوعه. وقد ابتدأت زينب بتأليفه في السابع من تشرين الأول عام ١٨٩١م، وصدر عام ١٨٩٣م وقد شاركت به في المعرض الكولومبي عام ١٨٩٣م.

وقد امتدح هذا الكتاب عدد من كبار أدباء وأدبيات عصرها، أما هي وشعوراً منها بالاعتزاز بما أنجزته، فكتبت على غلاف كتابها، هذين البيتين من الشعر:

كتّابي، تبدّى جنة في قصورها

تروح روح الفكر حور التراجم

خدمت به جنسي اللطيف وإنه

لأكرم ما يهدى لغير الكرائم

تقول د. بثينة شعبان في كتابها «مائة عام من الرواية النسائية العربية» ص ٥١ : (ويجب اعتبار عمل زينب فواز «الدر المثور في طبقات ربات الخدور» علامة فارقة أساسية في تاريخ الأدب النسائي بشكل عام، وتاريخ الأدب النسائي العربي بشكل خاص، حيث وثقت في هذه الأنتولوجيا «مقتطفات أدبية مختارة» الهامة لأربعمئة وست وخمسين امرأة من الشرق والغرب من التاريخ القديم والحديث. وهي تقدم سيرة ذاتية للمرأة ومن ثم تقدم أعمالها ومساهماتها في الحركة الأدبية أو السياسية أو الاجتماعية. ويبدو من بيتي الشعر اللذين يظهران على غلاف الكتاب أن فواز قد أقدمت على هذا العمل الضخم من أجل خدمة النساء وقضيتهن. وقد صممت على كتابة تاريخ النساء، وتنظيم سجلات لمساهماتهن في مختلف المجالات حيث تقول زينب: «ظهر كتّابي كجنة من قصورهن ليقدّم أفضل النساء المفكرات من الشرق والغرب، وقد قمت بذلك خدمة لبنات جنسي وأعتقد أن هذه أفضل هدية للسيدات الفاضلات». وإن هذا الكتاب الذي هو نتاج باحثة ملتزمة، وذات رؤية تحررية، غير موجود إلا بنسخ نادرة في مكتبتين أو ثلاث في العالم العربي).

قالت عائشة التيمورية في تقرّظها لكتاب زينب فواز «الدر المثور» :

سجدت لعزةً بالطّيح فحولُ	لما تحلّى جيدها المصقولُ
لمعت لآلي العقْد تزهو نضرة	كصفاء لجين راق فيه شمولُ
دعني وما التقطوه من بحر طمي	فمن ادّعى طبق القياس جهولُ

هذا هو الدرُّ الذي غَوَّاصه
 إذ ذاك من صدف وهذا جوهر
 درّ كـدرِي زهت أنواره
 هتُّوا ذوات الخدر بالفوز الذي
 ولقد علت طبقاتهنّ وزانها
 طبقات منشور بريق ضيائها
 كم أمطرت غيث الدموع بقولها
 نالت سواعد عزها ما لم تكن
 لله درّ طباق زينب أصبحت
 مذ أسفرت عن أصل جوهر عفة
 فعلى العفيفات الثناء لفضلها
 بعزیز آیات الثنا مشمول
 لفظته أذهانٌ ذكت وعقول
 يشهد بها المعقول والمنقول
 يعلو على سحب البها ويطول
 بتفاخر بعد الخمول قبول
 كشعاع شمس بالسها موصول
 تاج الفخار وهل إليه وصول
 رؤياه في سنة الكرى مأمول
 بدرأله بين الأنام هللول
 قد كان قبل سطورها مجهول
 ما جدّدت في العالمين فصول

عائشة عصمت

التمورية بمصر

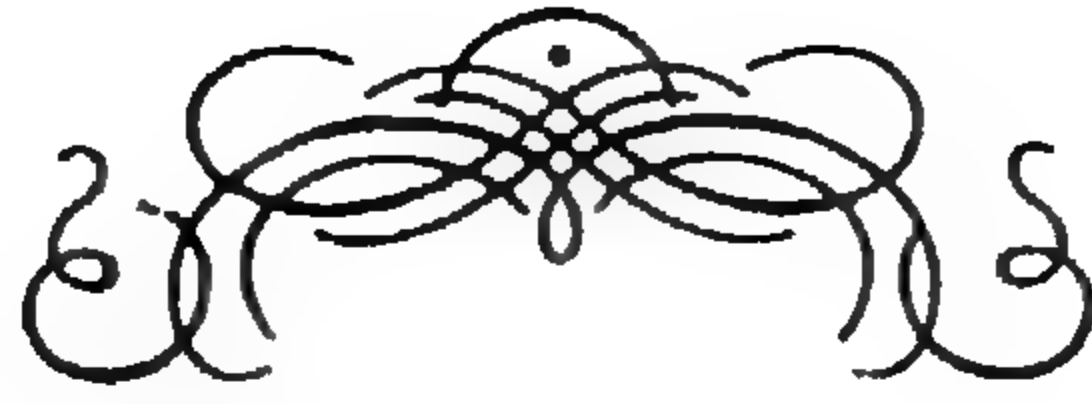
وجاء في تقرّظ الأديب الفاضل والكاتب الشهير حسن حسني صاحب
 جريدة «النيل» :

أحطتُ خبيراً بمجمل هذا الكتاب الجزيل الفائدة، الجليل العائدة، النبيل
 المقصد الشريف المبدأ والغاية، فألفيته سديد المآل ثمين المضمون عالي الأمل مبرور
 العمل، جمع إلى رشاقة الأسلوب لطف المفاد، وضم إلى حسن السياق والترتيب
 جمال العبارة وكمال التركيب، فجاء اسمه (الدر المنشور في تراجم ربّات الخدور)
 عنواناً على مسماه، متجلي عرائس الأفكار في أعالي قصور الاعتبار، متحلي
 السطور بجواهر المعاني، مسترق أحرار الأذهان برصانة هاتيك المباني. فقد اشتمل

على تراجم العدد العظيم من ربّات الخدور وسيدات القصور وأميرات العصور ، على سياق غير مسبوق المثال في متقدمي الأجيال . فسبحان من وفق ووهب وأقام للسيدات ظهيرة فضل وأدب . والحق أحق بأن يقال ويسمع ، إن هذا الموضوع من أهم ما يجب أن يعتني به العالم المدني ، لاشتماله على قسم عظيم من تراجم شهيرات نصف العالم البشري . وهنّ القيم الوحيد على تربية الملكات الأولى ، والشريك الأمين في الأعمال الحياتية . وناهيك ما هنالك من الأهمية التهذيبية ، التي تستفاد بتداول مثل هذه الآثار النفيسة ، خصوصاً وقد قامت بأداء هذا الواجب حضرة المصنفة الفاضلة البارعة الكاتبة الشهيرة ذات العفاف السيدة زينب فواز ، فجادت وأجادت في هذا الكتاب بما يروق ذوي العقول ويشوّف أرباب الألباب . ولا غرابة فإنها ربة الفكر والقلم اللذين طالما زينا الأوراق ، وطارا بجناحي شهرتها الفاضلة في الآفاق ، وسابقا الشمس في السير والإشراق . فتثني على هذه السيدة الثناء الجزيل ، ونشكر مسعاها المثل بكل لسان شكر جميل . فلا برحت زينة العلم والأدب ، ولا زالت مشكورة الأيادي العالية عند كل من قال وكتب :

بدا درُّها المنشور بالفضل زينب	فيا حبّذا الدرّ الثير المرتب
جلت لعيون الفكر آثار حكمة	عرائسها تزهى وبالفضل تخطب
حكى الفلك الأعلى فكل صحيفة	به أفق فيها من الزهر موكب
حوى حسنات الدهر بين سطوره	وقومها ذاك اليراع المهذب
فلا برحت للفضل بالفضل زينب	تقول مقال الفاضلين وتكتب

وسننشر في القسم الأخير من الكتاب نماذج مختارة مما كتبتّه زينب فواز ، عن نساءٍ اشتهرن في عصرهنّ ، في كتابها « الدرّ المنشور » .



رواية

حسن العواقب

أو

غداة الزاهرة

تأليف

حضرة الكاتبة الفاضلة الأدبية الكاملة نادرة زمانها
وفريدة عصرها وأوانها

السيدة

زينب فواز

الطبعة الأولى

طبعت في مطبعة هندية بشارع المهدي بالأزبكية
سنة

١٣١٦ - ١٨٩٩



حسن العواقب أو عادة الزهراء

هي أول رواية عربية ، صدرت في طبعتها الأولى عام ١٨٩٩ م ، حسب المعلومات المتوفرة ، وكما جاء في مقدمة السيدة فوزية فواز ، في الطبعة التي حققتها ونشرها المجلس الثقافي للبنان الجنوبي عام ١٩٨٤ م . غير أن الكاتب المصري حلمي النمنم يقدم في كتابه «الرائدة المجهولة زينب فواز» معلومات جديدة ، عندما يقول : (أن زينب فواز أصدرت أول رواية بالعربية المعاصرة «حسن العواقب أو عادة الزهراء»).

صدرت طبعتها الأولى في آب ١٨٩٢ م ، ولكن يبدو من المقدمة ، أنها كتبت قبل ذلك ، إذ إن هناك قصيدة شعرية ، في مدح تلك الرواية مؤرخة عام ١٨٨٥ م . وهذا يعني أنها سبقت رواية «زينب» للدكتور محمد حسين هيكل بأكثر من ربع قرن ، ويضيف النمنم : (أن مطبعة هندية بالأزبكية أصدرت عام ١٨٩٩ م ، طبعة من هذه الرواية).

ويذكر النمنم المصدر الذي استند إليه ، ويؤكد صحة معلوماته ، وبذلك تكون زينب فواز أنهت روايتها عام ١٨٨٥ م ، وأصدرتها بطبعة أولى في آب ١٨٩٢ م ، وفي طبعة ثانية عام ١٨٩٩ م ، ثم أصدرها المجلس الثقافي للبنان الجنوبي محققة عن الطبعة الثانية عام ١٩٨٤ م .

ورواية «حسن العواقب» المؤلفة من سبعة وثلاثين فصلاً ، هي أول رواية عربية لها طابع سياسي واجتماعي ، ذات مغزى خلقي ، تمثل عادات وتقاليد وطبائع بعض عشائر جبل عامل في القرن التاسع عشر ، وقد وصفتها بالشجاعة والشهامة . وتكشف عن المناخ السياسي وانعكاساته الاجتماعية .

وعبرت زينب فواز في مقدمة روايتها عن فهم عميق لعناصر الرواية ومهمتها، حيث قالت: (وبما أن الروايات الأدبية هي أهم نوع من الكتابة تعكس فكر المرء وتفيد وتمتع).

تروي «حسن العواقب» قصة صراع يدور بين أميرين من أبناء العم، من أمراء جبل شامخ هما شكيب وتامر، من أجل الفوز بإمارة الجبل، وتولي زمام الحكم فيه، وتنافسهما على حب ابنة عمهما الأميرة فارعة.

كان تامر أكبر أبناء العم سناً وأعظمهم مكرأ ودهاءً وخبثاً، وقد رأى أن عمه يعتمد على شكيب (الذي يتمتع بسمات أخلاقية جيدة) في جميع أموره، فقرر أن يوقع به قبل وفاة العم كي لا يتولى الحكم من بعده، فهذا الحكم من حقه لأنه الأكبر سناً، ووصية جده تنص على أن الحكم للأرشد.

وفي الفصل الأول يبدو أن قراراً اتخذ لتولي شكيب الحكم، فيقرر تامر قتله بوساطة أحد أعوانه واسمه طالب.

يبدأ الصراع في الفصل الثاني، حيث يلجأ تامر إلى كل أنواع التآمر، ويدعو مرافقه طالب للقيام بإطلاق النار على شكيب في الوادي، فيصيبه في يده.

ويواجه طالب مقاومةً وتصدياً شديدين من مرافق شكيب، واسمه نجيب، فيلتحم الاثنان في شجار يهرب بعدها طالب، وتبوء المؤامرة بالفشل، ويكمل شكيب طريقه، حيث يعالج، ويلتقي فارعة، ويتبادلان الحب.

وتتوالى الأحداث عبر الرواية، إذ يفشل تامر في خطته، يأخذ قراراً آخر بالزواج من فارعة، وإذ يلقي هذا القرار القبول من أخوي فارعة، فهو ابن عمها وثري وله مستقبل. ترفض هي طلبه لعدم قناعتها بشخصه، ولأنها تحب شكيب.

ويقرر تامر نيل فارعة مهما كلفه الأمر، فيرتب اختطافها مرتين بوساطة أعوانه، ويتم ذلك. ويدور صراع شديد فيهربون بفارعة إلى الجولان ومنها إلى حوران، ومن قبيلة إلى قبيلة أخرى. ويطارده شكيب وأعوانه وتحدث معارك

ومغامرات كثيرة بين الطرفين ، ويلقي رجال شقيب القبض على تامر فكان رحيماً وخلوقاً معه . وينتهي الأمر بقاء الحبيين وفرار تامر للاستانة .

نرى في الرواية أن شقيباً ذا السمات الأخلاقية الجيدة والسياسي الشريف ، هو أيضاً محب مخلص وأمين ، تنسجم مواقفه من الحكم مع علاقته وحبه لفارعة ، رغم كل ما تعرض له .

تصرح الأدبية زينب فواز في مقدمة روايتها ، بأنها إنما تروي أحداثاً جرت فعلاً (وإنني قد تعمدت في هذه الرواية تبديل الأسماء والأشخاص والبلدان تحاشياً من ذكر الباقيين منهم على قيد الحياة ، حرصاً على شرف البيوت الكريمة التي دنسها بعض أبنائها الذين هان لديهم بذل شرفهم في سبيل نوال شهواتهم) .

يذكر الناقد الروائي اللبناني د . عبد المجيد زراقط عن سبق زينب فواز لغيرها في كتابة الرواية العربية ، أن : (لهذه الريادة التاريخية على الأقل دلالتها الهامة ، ومن واجب كل غيور ، وضع الأمور في نصابها ، والتعريف بهذه الأدبية المفكرة الرائدة .

فالأدبية والرواية ، كلاهما ، ومن منظورهما التاريخي ، يعطيان فكرة واضحة عن حقبة هامة من تاريخنا المعاصر ، وهذا العصر بكل صعوباته وتقلباته ووطاته على حياة المرأة خاصة يجعل من زينب فواز وروايتها «حسن العواقب» علامة فارقة في حياة المرأة العربية ، وفي تاريخ الرواية العربية) .

ويسط د . زراقط أحداث الرواية ، مشيراً إلى أن المؤلفة تدرك أنها تكتب رواية أدبية ، وتعتمد إلى أن تحقق لها مزية الواقعية الأدبية ، وإن استخدمت وقائع تاريخية ، متخذة من وقائع الحياة مادة روائية ، صنعت منها رواية ذات بنية خطية تصاعدية متقطعة بالتناوب .

ورأى د . زراقط ، أن الرواية تتصف بخصائص القص العربي القديم ، قص المغامرات الموكل إلى مراد ، يتصف بالكثير من مزايا حكواتي الحكايات الشعبية ،

ولكنها مع ذلك حققت تطوراً يقرب بها من الرواية الحديثة، التي تتميز ببناءٍ روائيٍ متماسك، بلغة فصحي معاصرة، فتكون هذه الرواية قد نهضت بأداء وظيفة نهضوية على مستوى الأدب الروائي، والرؤية إلى عالمها واللغة.

ويضيف د. زراقط: (في الرواية، وفي مقدمتها، ما يشير إلى أنها تروي أحداثاً جرت فعلاً في مكان وزمان معينين. ففي بداية الرواية، يدعو الراوي، قارئه ويسميه -رائد سطح الأرض، السائح في فسيح الأقطار... - ليتجه وإياه إلى سورية وفلسطين ويسرّح النظر في مرتفعات جبل شامخ، حيث يجد حصناً حصيناً، ويقول له:

فقف هناك وحول نحوه البصرا

واسمع فعن أهله أروي لك الخبرا

وهذا الحصن الذي يوجد في داخله قصر بديع، كما يقول الراوي، قد أحكم بناؤه من عهد هيوستنت أومر، وتفيد المعلومات التاريخية، أن قلعة تبين بناها هيوستنت أوهوك بن أومر عام ١١٠٧ م. وأن آل الأسعد جعلوها مقراً لهم، وكانت زينب فواز تقيم في هذه القلعة أيام علي بيك الأسعد، برعاية زوجته فاطمة، ويمكن للمقارئ الملم بجغرافية جبل شامخ ﴿جبل عامل﴾ وتاريخه أن يعرف أن الزاهرة هي قرية الطيبة، والجابية هي مزرعة التامرية، وذلك من خلال الوصف وسياق الأحداث، ثم يصف الحصن وأهله، وأهم الأمكنة التي تدور فيها الأحداث، ويكمل القصة، فيبدو وكأنه ﴿الحكواتي﴾ الذي كان يحكي الحكايات والسير الشعبية في المقهى، أو المحدث البارع في مجلس السمر. وهذا يعني وعي المؤلف تنوع مستوى قرائها في ذلك الزمن، فكل يتلقى بقدر مستواه، وأن المؤلف تدرك أنها، إنما تكتب رواية أدبية، وتعتمد إلى أن تحقق لها مزية الواقعية الأدبية، وإن استخدمت وقائع تاريخية، وتهدف إلى أن تحقق هذه الرواية لقارئها المتعة والتسلية والحث على التفكير بالأحداث وتأملها، بغية الإفادة من دلالاتها. ولكل أن يحصل معرفة بالقدر الذي يستطيعه، فالمعرفة التي تقدم هنا، ليست تاريخية أو أخلاقية

مباشرة، وإنما هي معرفة روائية غير مباشرة يحصلها القارئ بقدر إمكاناته، وإن كان من معرفة تاريخية يمكن تحصيلها فهي موظفة في السياق الروائي وليست مقصودة لذاتها).

ويقول د. زراقط: (أن هذه الإشارات التي تفيد بأن الأحداث واقعية بمعنى وقائعية، تجعلنا نظن أن حامداً هو حمد المحمود المعروف بحمد البيك، الذي جدد بناء القلعة في تبين عام ١٨٥٤ م. وأن شكيباً هو ابن أخيه علي بك الأسعد، وأن فارعة هي ابنة أخيه فاطمة بنت أسعد الخليل، غير أن هذا جميعه لا يجعل الرواية رواية واقعية أو تاريخية وإنما هي بناء متخيل، مثلت الوقائع فيه المادة الروائية التي صنعت منها الروائية رواية، تتخذ الوقائع مادة لها فتنظمها في بناءٍ روائي ينطق برؤيتها إلى عالمها، وقد استفادت من هذه الوقائع لتضفي على روايتها مزية الواقعية).

والميزة البارزة في هذه الرواية هي الاستشهاد بالشعر، يستشهد به الراوي مباشرة أو على لسان الشخصيات، وهو شعر جميل يلائم مناسبة الاستشهاد في الغالب، وهو أيضاً مختار بعناية من ديوان الشعر العربي وربما كان بعضه من نظم المؤلفة، والشعر هنا يأخذ مساحة كبيرة من الرواية، وهذا تقليد يعرفه القصص العربي القديم. وهو يتميز هنا عن ذلك الشعر بجودته وجودة توظيفه.

وإن تكن هذه الرواية تتصف بخصائص القصص العربي القديم... إلا أنها وظفت مختلف عناصر القص وتقنياته في سياق روائي مسلّم تمتع وينطق في مناخ المتعة الروائية، بدلالة كلية، وهي هنا تجسد منظومة قيم الفروسية العربية، والدعوة إلى التمسك بها مهما كلف الأمر من تضحيات، وإن من يخرج عليها ظالماً تصيبه عواقب ما صنع، وذلك يؤدي بلغة فصحي معاصرة.

يقول الأديب د. علي زيتون في قراءة بناء الشخصيات في رواية «حسن العواقب» إنها أول رواية عربية تكتبها امرأة ضمن السياق التاريخي، والظرف التاريخي لحياة امرأة تعيش حكاية في القرن التاسع عشر. ويؤكد د. زيتون من

خلال الرواية نفسها على مؤثرات الحكاية الشعبية في الرواية . فهي واقعية حرفية ،
تلتزم فيها الكاتبة بتغيير أسماء شخوصها تجنباً لأي تشهير بالعائلة ، نتيجة تصرف
شرير من أحد أعضائها . وهذا ما وسم الرواية ببساطة التركيب الفني .

ولا ننسى هنا أن الرواية في ذلك الوقت وافد جديد إلى الآداب العربية ، وما
الذي صنعه الرجال الأدباء في ذلك الوقت حتى نلوم أديبة امرأة اقتحمت هذا
المجال لبوساً فنياً لتعبر فيه عن أفكارها ، وعن مزايا وسلبات محيطها ومجتمعها .
وحين نتحدث عن رؤية ما ، يعني أن نتاج الرؤية ليس المرجعي موضوع الرؤية ،
ولن يساويها لأن تدخل ثقافة زينب وهمومها واهتماماتها في توجيه رؤيتها
وتحديدها . يعني أننا أمام إعادة إنتاج العالم ، وأن بناء شخصيات روايتها بناء فني .

وفي ذلك كل الحق ، لأن الرؤية الفنية تنتج بناءً فنياً ما دام يفترق عن الحكاية
الشفوية ، بأنه أدب مكتوب . فهو نتاج للفكر والوجدان والتدوين ، مما يجعل فيه
الخيال محدوداً أو نهائياً لا يمكن أن تعبت به خيالات أخرى .

يضيف د . علي زيتون : (إذا كان الإنسان مركز هذا الوجود الواقعي ، فإن
الشخصية البشرية في العمل الروائي المتخيل ، هي الشرط الأساسي ، لوجود ذلك
العمل حتى ولو كان البطل فكرة لا شخصاً . كما هي الحال في رواية زراقط
«الهجرة في ليل الرحيل» حين جعلت من فكرة التحول نحو مقاومة العدو ، بطلاً
يمسك بجميع الخيوط ومن ضمنها الشخصيات . أو كما هي الحال في رواية أمين
معلوف «سمرقند» التي جعلت من رباعيات الخيام ، ناظماً يضبط أحداث الرواية
وشخصياتها ويلم شتاتها ، إذ لم تمنع بطولة الفكرة من أن تكون الشخصيات شرطاً
لا بد منه .

والدخول في عمل زينب فواز من باب الشخصيات ، يقتضي أن نأخذ
الوضعية التاريخية لهذا العمل بالحسبان . ف «حسن العواقب» تشكل مرحلة مبكرة
لولادة الرواية من رحم الحكاية ، ولذلك فهي تحمل الكثير من أمارات أمها .
واللغات المتكررة إلى ما فات الحديث من أمور سبقت أو تزامنت مع حدوث ما

يكون الراوي بصدد سرده، والتي تعد من مقومات الحكاية الواضحة . حاضرة حضوراً قوياً في «حسن العواقب»، والفارق بين شخصيات «حسن العواقب» وشخصيات أية حكاية شعبية، أن بناء الشخصيات الأولى هو نتاج رؤية فكرية على عكس بناء الشخصيات الثانية، الذي هو نتاج رؤية جمعية ممتدة عبر التاريخ. ولئن كان النموذج الثاني خاضعاً للتجديد المستمر بسبب شفويته، فإن النموذج الأول يخص عالم فرد يعبر بعمله هذا ليس عن تدوين حكاية لكي لا تنسى، ولكن عن مرحلة ثقافية تؤذن بإنهاء عصر الحكايات وبدء مرحلة الرواية والكتابة.

ومن يتجاوز مسألة ولادة حسن العواقب إلى دوائر العلاقات التي تتظمها، يجد داخلها علاقة الرغبة أن العامل الذات - الشخص الذي يرغب في تحقيق هدف ما - يشمل جميع شخصيات الرواية، إذ لا يوجد من لا يرغب، وإن كانت رغباتهم جميعاً تمت بصلة ما إلى الرغبة الأم «أي الحصول على المرأة الجميلة الفاتنة الأنوثة، وعلى السلطة». ولذلك فإن العوامل الراغبة كلها تدور في فلك عاملين راغبين أساسيين، هما شكيب وتامر. إذ شاءت الظروف أن تكون رغبة كل منهما الحصول على المرأة نفسها «فارعة» والموقع السلطوي نفسه «حكم الحصن». لقد قادتتهما هذه الرغبة إلى صراع لا هوادة فيه بذريعة الأرشدية التي يراها كل منهما لنفسه. وفي كل عصر من هو أعلم وأرشد حقاً؟ ومن يدعيهما زوراً؟ وهذه الثنائية واضحة المعالم في الرواية. لا يخطيء وجودها أي متلقي، وإذا كان دافع كل منهما واحداً في الأساس «جمال فارعة وأنوثتها» فيما يتعلق برغبة الزواج منها، وما توفره «السلطة من مكانة وإمكانيات» فيما يتعلق برغبة الحصول عليها. إلا أن محركاً أكثر عمقاً من هذا المحرك الذي يتراءى للعيان، يجعلنا نرى واقعين مختلفين، لا واقعاً واحداً، فتامر مدفوع بشهوة التملك والتحرق إلى الجسد الجميل. وشكيب مدفوع بإيمانه العميق بخدمة شعبه من ناحية السلطة. وبنظرته إلى فارعة بوصفها إنساناً رائعاً.

لقد جسدت هذه الشخصيات جواهر نفسية ، ومنذ الصفحة الأولى لم نحد عن مقتضياتها إلى آخر صفحة كان فعلها نتاجاً طبيعياً لهذا الجوهر ، حتى إن تأمرأ الذي مني بالفشل بعد الفشل ، لم يشب إلى رشده ، ولم يرعو حتى بعد أن ضاقت الأرض به ، ففر إلى الآستانة ، حيث حاول الإتصال بحكامها محرصاً إياهم ضد شكيب من غير أن يتخلى عن مكره ودهائه وخبثه لحظة واحدة على امتداد الرواية . وهذا النوع من التعامل مع الشخصيات أمر طبيعي . وما كان بإمكان زينب أو جيلها تخطي هذا الحد إلى مستوى آخر تكون الشخصية فيه نتاجاً للفعل لأن النظرة التي كانت سائدة تقوم على اعتبار الشخصية كياناً مكتملاً متماسكاً ، وذلك قبل أن تحدث القفزة النوعية في العلوم الإنسانية التي شهدناها مطلع القرن العشرين ، خصوصاً في مناهج الفلسفة وعلم النفس التي امتدت الروائيين بما لم يكن متوفراً لأسلافهم من فهم للشخصية وتعقيداتها وكيفية تكونها ونمائها .

ويجعلنا هذا نستتج أن الكتابة التاريخية والحكاية قد فعلتا في رواية مرحلة زينب فواز ، ويبقى السؤال ، ما المسافة التي قطعتها أدبنا مع الرواية ؟ .

تتطلع «حسن العواقب» إلى نفي التاريخية عن نفسها ، وخوف زينب من أن تمس الأسماء الحقيقية للأشخاص والبلدان ، أسرة عزيزة على قلبها ، يعني أن الهم التاريخي لا يؤرقها . ما يؤرقها أفشى العنوان به ، فهي تهدف إلى دور تهذيبي أخلاقي ، يعني أنها تنتظر من عملها أمرين : المتعة والدرس الخلفي وإذا كان كل من التاريخ والحكاية يؤمن هذين الأمرين بشكل من الأشكال ، لا يبقى أمامنا إلا أن نقول : بأن الكتابية هي علامة هذا العمل الفارق . والكتابية ليست أمراً يسيراً ، إنها نقطة البداية التي لا بد منها : كتبت زينب حكاية فجاءت برواية سوف يتولى الزمن تهذيب سلالتها وصولاً إلى الرواية الحديثة .

تقول د . بشينة شعبان : (في مركز هذه الرواية نجد أهواء تأمر الأنانية والتي تمثل صفة تاريخية في تواريخ الأسر الحاكمة ، أو المخولة أن تحكم في العالم العربي .

وطوال التاريخ العربي كان هناك أشخاص يتمثل هدفهم الأساسي في - الأنا - الذاتية بأضيق أبعادها، حتى دون أخذ مصالح أفراد العائلة الآخرين بعين الاعتبار، ناهيك عن مصلحة المجتمع والوطن. وتعكس الرواية من وجهة نظر سياسية الأسباب الحقيقية الكامنة وراء المصائب السياسية التي حلت بالعرب خلال تاريخهم الطويل: التنافس الشخصي والحسد والغيرة والمصالح الأنانية الضيقة، والتي كانت مسؤولة غالباً عن كوارث سياسية كبرى حلت بالعالم العربي في تاريخه البعيد والقريب).

المرأة في رواية زينب فواز:

تذكر د. شعبان: (من اللافت للنظر في هذه الرواية المبكرة، هو أن النساء يشكلن عناصر هامة في مجتمعهن، ويفهمن اللعبة السياسية جيداً، ويتخذن مواقف حازمة، ويعبرن عن مشاعرهن بصراحة وحزم، ومن خلال تبادل رسائل الحب بين شكيب وفارعة، نكتشف أن فارعة تقدر مواقف شكيب السياسية وهي ليست خجلة أو متحفظة في التعبير عن مشاعر الحب والإخلاص له. وحين تستلم فارعة على سبيل المثال، رسالة من ابن عمها شكيب، ترسل جواباً فورياً لرسالته معبرة عن مشاعر حبها له وشوقها إليه، حتى إنها كتبت له قصيدة تشكو من مشاعر الحب الملتهبة في قلبها وذهنها. ، من ناحية أخرى فإن عائلة فارعة لم ترغبها على الزواج من تامر مع أنه ابن عمها ويتمتع بمزايا سياسية ومادية كبيرة، وفي كل مرة تقدم تامر لخطوبة فارعة، كان جواب والديها أن لها حياتها، وعليها أن تقرر بنفسها. وتنتهي الرواية بانتصار البطل الشريف والأمين وهزيمة ابن عمه المتآمر تامر.

تظهر النساء في هذه الرواية ظهوراً متميزاً أيضاً، باتخاذهن المواقف السياسية الصحيحة، كما يبرهن على أنهن مقاتلات عنيدات، من أجل ما يقتنعن به ويشعرن أنه لصالحهن. ورغم كل إغراءات المركز والحياة الرغيدة وموافقة الأهل، بل وتشجيعهم، ترفض فارعة الزواج من تامر، وتبقى مخلصه لحبها من شكيب. مع

أنها مرت بفترات طويلة صعبة ، وعانت من صعوبات بالغة ، وفقدت الأمل برؤية شكيب مرة أخرى . والمهم هو أن النساء لا يظهرن في الرواية شخصيات هامشية ، بل يلعبن دوراً فاعلاً في مركز الحدث ، وعلى المستويات العائلية والاجتماعية والسياسية .

وإذا أردنا اعتبار عنصر القص في المحاولات الروائية المبكرة في الأدب العربي ، فلا شك أن هذا العنصر موجود هنا ، ويجب تقييم هذه الرواية في إطار ما كان متوفراً في الأدب العربي في ذلك الوقت ، وليس بالمقارنة مع روايات جين أوستن وجورج إيليويت . بل يجب تقييمها بالمقارنة مع روايات إبراهيم اليازجي وسليم البستاني والتي كانت مزيجاً من المقامة والقصة ، ومن الأدب والطب والجغرافيا .

وليس من المنصف أيضاً مقارنة هذه الرواية مع الروايات الغربية ، التي لها تاريخ مختلف وثقافة مختلفة وجو مختلف وجمهور مختلف أيضاً .

وإذا قرأنا هذه الرواية في الإطار الأدبي لزمانها نكتشف فوراً ما اكتشفه نقاد زينب فواز وقراءها المعاصرون لها ، أنها موهبة نادرة ورائدة في كتابة هذا اللون الأدبي بالذات) .

وقد امتدح مزايا هذه الرواية أدباء معروفون في ذلك الوقت أمثال الشيخ محمد عبده ، ونصحوا بقراءتها لأنها تمثل الاتجاهات الإصلاحية التي دعوا إليها أو نادوا بها .

كما كتب رئيس تحرير جريدة « النيل » حسن حسني تقييماً لرواية « حسن العواقب » ، حيث قال : (قرأت رواية « حسن العواقب » للكاتبة الشهيرة زينب فواز ، التي لا توازي شهرتها شهرة ، وذلك لفكرها النير وقلمها المبدع ، فوجدت الرواية تتمتع ببنية جيدة ومواضيع بعيدة المنال ومزايا أدبية جميلة ، فلا غرو أن تجود على العالم الأدبي العربي بأمثال هذه النفائس الغالية والآثار العالية ، فقد عودت العالم المصري المصري بكثير من هذه المآثر ذات المفاخر . نأمل أن تستمر كاتبتنا بمنح

عصرنا الحاضر مثل هذه الكتابات الأدبية القيمة) . كما كتب قصيدة يمتدح الرواية جاء فيها:

رواية إبداع أجسادت وجودها
براعة فخر الفاضلات الكواكب
زهت بمعانٍ لطفها في كتابها
برقة موضوع وأسماى مطالب
ترى العين فيها وجه كل براعة
وتسمو لها الأفكار من كل جانب
فلا برحت تهدي المعارف زينب
هدايا المزايا في أعالي المراتب
ولا زال هذا العصر منها ممتعاً
بخير مبادئها (وحسن العواقب)

كما كتب الشاعر عبد الله فريج قصيدة يمتدح فيها رواية زينب فواز، مشيراً إلى السمعة الأدبية التي حققتها هذه الرواية، ليس فقط في مصر، بل في البلدان العربية المجاورة إذ قال:

لعمرك إنَّ العلمَ خيرُ المكاسبِ	ذووه به يرقون أعلى المراتبِ
بإحرازه كم فاق في الناس يافعٌ	على كل كهلٍ في أجلِّ المناصبِ
وكم عادةٌ حسناء أضحت بخدرها	تُباري به أهلُ اللّحى والشواربِ
وحسبك فيه ربة الخدر زينبُ	فريدةُ هذا العصر خيرُ الكواكبِ
كريمة فواز هي الغادة التي	حبّأها إلهُ العرشِ عز المناقبِ
لنا أنشأت عن فضلِ ربِّ روايةٍ	يقصّرُ عن أمثالها كلُّ كاتبِ

فأكرم بها من مُلحة ذات بهجة
بها حكّم لو شام لقمان بعضها
كدرٌ بهي في عُقودٍ منضّدة
معانٍ لعمر الحق تلعب بالنهى
فبالملاح ما قد خصها غير صادق
لربتها من أناءٍ معطرٍ
مخدرة من خير قوم وأمة
تحلت بأخلاقٍ أرق من الصبّا
وقد أرضعت ثدي العلوم فأصبحت
تأليفها عمّت بلادَ مشارقٍ
فلله آدابٌ بها قد تفردت
حبثنا من الفكر المنير بتحفة
ولما ازدهت بالطبع في أفق حسنّها
ترنم عبدُ الله يشدو لصحبهِ
تهنّوا ذوي عزٍ بطيبِ روايةٍ
بآياتٍ سحرٍ للقلوب جواذب
لقال ورب البيت: يا للعجائب
له حسداً ترنو عيون الكواعب
وتزري بهاتيك الظباء الربارب
وما عابها من جهله غير كاذب
وذلك فرضٌ واجبٌ أي واجب
سليلة مجدٍ من كرام الأعارب
وأوصاف أملاكٍ فسبحان واهب
تصبوغ لنا در النهى في قوالب
وذاعت بفخرٍ في جميع المغارب
ولله أفكار كشهبٍ ثواقب
وكنزٍ ثمينٍ من أجل المطالب
كروضٍ جنيهاً منه خير الأطايب
ونادى بتاريخين كل الحبايب
تجلّت لنا زينا بحسن العنواقب

وكتب الشاعر محمد توفيق مديحاً في الرواية، قال فيه:

من أنكر وجوب تعليم ربات الخدور فليمتع نظره بهذا السفر المسطور، فإنه
دلالة لا تمنع، وبرهان لا يدفع. حيث قام الدليل على صحة دعوى التعليم، وفوق
كل ذي علم عليم. إذ جاءت هذه الرواية طيبة الغاية في البداية والنهاية:

أعقودُ درٍ في جِيَادِ الخُودِ^(١) أم تلك أضواءُ الصُّباحِ أتتُ بها
 أم تلك آياتُ الطُّروسِ تَبَرَّجَتْ جَاءَتْ تَرْتَلُ مِنْ حَدِيثِ قَد زَهَا
 وتلتُ على آذانٍ ما قد فصَّلَتْ وجلَّتْ محاسنَ ما جلتِ عصرَ الذي
 سترتُ محاسنَهَا ولكن قد بدتُ إن كان خلفَ الخِدرِ ظِلٌّ مقامُهَا
 جَاءَتْ مِبَادِيهَا بحسنِ عَوَاقِبِ جَاءَتْ بما فاقَ اللواتي قبلَهَا
 رَوَّحْتُ فُكْرِي فِي تِلَاوَةِ أُسْطَرٍ فَعَلِمْتُ مِنْ بَكْرِ الْمَقَالَةِ أَنَّهَا
 سَكَّرَتْ بِهَا الْأَمَالَ حَيْثُ سُرُورَهَا لَا زَالَتِ الْأَفْكَارُ تَرْقُبُ مِنْهُ
 فَلزَيْنَبِ حَسَنُ الْعَوَاقِبِ زَيْنْتُ تَزْهَوُ فَتَظْهَرُ فِي صَدُورِ الرُّودِ^(٢)
 شَمْسُ الْفَضِيلَةِ فِي سَمَاءِ زَرُودِ^(٣) لَتَشْدُ أَزْرَ الْفَضْلِ بِالْمُورُودِ
 سُرُورَ الْبَهَاءِ بِمُوكِبِ وَبَنُودِ رَسْلُ الْفَصَاحَةِ فِي بَنِي مَنْشُودِ
 زَانَتُهُ زَيْنَبُ فِي بَهَا وَسَعُودِ مِنْهَا الْبِرَاعَةُ فِي جَلَاءِ صُعُودِ
 فَلَهَا السَّنَاءُ بِفَارِسٍ وَهَنُودِ وَأَتَتْ أَحَاسِنَهَا بِلَا مَجْهُودِ
 فَأَقَمْنَ فِي حِلٍّ مِنَ الْمَعْقُودِ جَاءَتْ بِمِثْلِ اللَّوْلُؤِ الْمَنْضُودِ
 تَعْتَاضُهَا عَنْ ابْنَةِ الْعَنْقُودِ يَجْلُو عَنَاءَ مَسْتَيِّمٍ مَكْدُودِ
 مِنْ زَيْنَبٍ لِتَجُودَ بِالْمَوْجُودِ كَعَقُودٍ دَرٍ فِي جَعِيَادِ الْخُودِ

كما كتب الأستاذ محمد علي غالب نجل علي غالب ناظر الحربية سابقاً،
 قصيدةً جاء فيها:

(١) الخود : مفردُها الخُودُ : المرأةُ الشابةُ .

(٢) الرود : أصلُها الرُّودُ : الشابةُ الحسنةُ .

(٣) زرود : اسمُ مكانٍ في شبه الجزيرة العربية .

هذي لآلىء أم كـواكبُ بسنائها ظهرت عجائبُ
أم ذا كـتـابُ نـورهُ ضياء المشارق والمغاربُ
لا غرو أن عجببت به مصر فكم فيه عجائبُ
أهدته سيده لها الـ فضل العميم أجل طالبُ
حسنت مباديها به فزهت بها حسن العواقبُ

ويمكن القول إن ما كتب عن فواز وروايتها، أكد أنها كانت كاتبة هامة جداً في عصرها، وأنها كانت تعيش في مركز الحركة الأدبية في ذلك الوقت. وإنه لمن المفيد جداً اقتطاف الفصل الأخير من الرواية، للدلالة على أسلوبها، وطريقة تفكيرها. وبنائها الروائي باتجاه خدمة الأهداف النبيلة، وتجسيد المشاعر الوطنية، وتدعيم الأخلاق الحميدة.

الفصل السابع والثلاثون من رواية زينب فواز «حسن العواقب» :

ولما سمع الأمير عزيز بوجود شقيقته ومجيئها إلى محطة الجيش، انتعش فؤاده، وجلس في فراشه. وكان الأمير حمدان بجانب سريريه يلاحظه، مخافة أن يطرأ عليه من تأثيرات الفرح ما يوقعه في عطب. وبينما هو يشاغله بالحديث والمنادمة، إذ بالموكب دخل بين الخيام. ولاحت منه التفاتة، فرأى أخته خرجت من الهودج محمولة على أيدي الرجال. فهب من فراشه، ونهض على قدميه، ومشى، كأنه لم يشعر بشيء من آلام الجرح، وتخطى الخيام، إلى أن اقتبل شقيقته تجاه الصيوان المعد لها، فاعتنقها واعتنقته، وقبلها وقبلته، وأخذهما البكاء فبكيا وتشاكيا. ثم حمدا الله وأثنيا عليه، وبعد ذلك جلسا بجانب بعضهما، وأخذ يسألها عما صادفته في سفرتها، وهي تقص عليه ما لاقت من أهوال الشدة في غربتها. وكان شكيب يسمع حديثها الرقيق، ويشاهد جمالها الجاذب للقلوب،

فيشعر بلذة لا تعادلها لذة في هذه الحياة الدنيا . وبينما هم كذلك . إذ بثابت قد أتى وأخبرهم بأن رؤساء مقاتليهم يستأذنون في الحضور والاجتماع بحضرة الأمير شكيب . وأن الغالب على الظن ، أنهم يطلبون الصلح . قال شكيب : ومن أين علمت ذلك يا ثابت ؟ قال : يا سيدي ، إني قد رأيت طالباً في وقت دخول الموكب ، ولم يخف علي رغماً عما اتخذه من الزي واللباس المزور . رأيت ، ولكني ما أدركته . ولو أنني أدركته ، لكنت قبضت عليه . مع ذلك ، فأنني تتبعته خطواته ، إلى أن دخل بين خيام الأعداء ، ورأيت أنه دخل خيمة تامر . ولبثت بالقرب من المضارب ، إلى أن جن الليل ، وأسدل الظلام سدوله ، دخلت بين المضارب والخيام ، واختلطت مع الحاشية ، وصرت أسترقي السمع ، عساني أفهم ما يكون بين تامر وطالب ، فلم يتسن لي شيء من ذلك ، ولما عزمت على الرجوع ، قابلني أحد الخدم ، وأخبرني بأن تامراً قد هرب ، ولم يعلم أحد بوجهته ، وأن رجاله ما زالوا موجودين . فقلت في سري ، هرب إلى حيث ألفت . قال الخادم : وبلغني أيضاً أن الأميرة فارعة قد وصلت إلى محل قومها ، ولكنني لم أصدق هذا الخبر ، لأنني كنت أعلم أنها عندنا في الحي . على أنني سمعت أخيراً أنها فقدت من بيت الأمير من مدة غير يسيرة . وفهمت أيضاً أن الأمير جمع قومه وفاوضهم بأمر الصلح مع أمير جبل شامخ ، على الشروط التي يختارها ، فأجابوه لذلك ، لاعتقادهم بأننا لا قبل لنا على مقاومة الجبلين ، سيما وقد انضم إليهم نصف عربان حوران ، فضلاً عن شجعانهم . وأنهم عقدوا مجلساً لهذه الغاية . وهنا انتهى الحديث بيننا ، وتركته ، ثم جئت لأخبركم بالخبر . ففرح الأمير شكيب ، وجميع الحاضرين ، وقالوا : قد بلغنا ما كنا نرجو ، فلنرجع إلى أوطاننا ، ونقيم الأفراح . وتامر نبحت عليه^(١) فيما بعد ، ونعامله بما يستحق . وبعد ذلك جاء مسيلمة وأكابر قومه ، وعقدوا الصلح بينهم وبين الأمير شكيب ، واعتذر مسيلمة عما بدر منه بحجة المحافظة على الدخيل ،

(١) والصحيح عنه .

وكان الأمير حمدان هو المتولي أمر المعاقدة وترتيب المعاهدة، وقد تعهد بنو خالد بتأدية التعويضات والخسائر، ودفع دية من قتل من الجبلين أثناء المحاربة، وكتبوا بذلك سنداً يصادق عليه من الطرفين، وبعد ذلك دعاهم مسيلمة إلى ضيافته، ولبثوا عنده ثلاثة أيام. وفي اليوم الرابع، طلب الأمير العوني من الأمير شكيب أن يأذن له بالسفر إلى العونية، لأنه يريد أن يستخلص أمواله من قبائل الدروز، بأن يرجع إليك جميع ما أخذ من قصرك. وهو صديقي، ولا أخاله يخالف لي أمراً، وأنت، وإن كان صدق حبك لي ولأخيك صادق، جعلك أن تكتم^(١) عنا هذا الأمر، ولكن سميرة أخبرتنا به. ومن ذلك الحين، كتبت إلى الشيخ نجم الإبراهيم زعيم طائفة الدروز. ولا بد أن يكون الرسول قد رجع بالمال إلى العونية. فشكر له العوني حسن التفاته، والتمس منه أن يكون الطريق على العونية، وأن يشرفه بشرف ضيافته، فأجابه الأمير شكيب إلى ذلك. ثم أمر الجيوش بالتأهب، فتأهبوا جميعاً، وركبوا، وساروا يحتاطون بهودج فارعة، وقد أنفذ شكيب البشائر إلى الحصن. ولما وصل الخبر إلى والدته بقدمه سالماً غانماً، ومعه فارعة، باشرت بإعداد الزينة للفرح، وكانت كما قدمنا، ذات همة عالية في تدبير الأمور المهمة، فاستحضرت كل ما يلزم من المهمات الداخلية والخارجية. وكان أعظم مساعد لها في ذلك خالد، شقيق فارعة الصغير، وسالم أخوتامر، لأنه كان انضم إلى شكيب بعد أن رأى من خيانة أخيه. وقد أحله شكيب لديه محلاً حسناً، وغادره مقيماً في القصر، ولم يشأ أن يرافق شكيباً لكيلا يقال أقدم على حرب أخيه. ثم إن والدته شكيب أنفذت خبراً إلى والدته فارعة في الزاهرة، تبشرها بقدم كرميتها بالسلامة، وتدعوها إلى وليمة الزفاف مع من تشاء من أهل الزاهرة، وتوصيها بأن تصلح شأن أنيسة، وتحضرها برفقتها، لتكون وليمة الزفاف عمومية. ثم أنفذت من قبلها رجالاً يأتون بالتجلة والاحتفال.

(١) والصحيح جعلك تكتم.

أما شكيب ، فكان كلما وصل إلى محل في طريقه ، يضيفه أمير ذلك المحل ، إلى أن بلغ أراضي جبل شامخ ، وبرفته جميع الأمراء ، ومن جملتهم طلال . فانه عقد العزم على أن يترك حوران ، ويسكن الجبل معهم حباً بالتقرب إلى الأمير شكيب ، وعدم البعد عنه . وكانت والدته فارعة لما أخذت بشرى مجيء بنتها سالمة ، داخلها من السرور ما كاد يذهب بعقلها ، ونزعت عنها لباس الحزن الذي كانت تسربت به منذ انقطعت أخبار بنتها عنها . ثم أصلحت شأن أنيسة ، وهيات لها موكباً لا يقل عن موكب فارعة إلا بشيء يسير ، وزفت من الزاهرة إلى الحصن بغاية ما يكون من الأبهة والإجلال . وعند وصولهم ، خرج لاستقبالهم رجال الحصن ، ودخلوا في يوم ما سبق له مثيل في زمن من الأزمان . وبعد يومين من وصولهم ، وفدت طلائع المبشرين بوصول الأمير شكيب . فخرجت القرية لاستقبالهم ، وغصت الطرق والأودية بالناس ، بحيث ان كانت تلك السهول ملآنة بالرجال والنساء والأطفال . ولما أقبل الموكب ، تهللت الوجوه ، وزغردت النساء ، وقام الضجيج ، وعلت الضوضاء . فكان ذلك اليوم يوماً مشهوداً له في تاريخ تلك البلاد ، ذكراً تتناقله ألسن الرواة على ممر الأوقات . ولما وصل الركب إلى البلد ، ترجل الأمير شكيب ، ودخل على والدته وبجانبه فارعة وعزيز وسميرة . فلما وقعت العين على العين ، ومن الله بنعمة اللقاء على الطرفين ، ارتفعت الأصوات بالمسرة والاستبشار ، وعنت الوجوه ، وخشعت الأبصار . ولا تسلم عما حصل في تلك الساعة التي مثلت حالة الاحياء ، وما فعلت بهم مرارة النوى ، حينما ذاقوا حلاوة اللقاء . فيا لله من هول هذا المراءى العجيب ، الذي يعجز عن وصفه لسان كل أديب .

وبعد أن راق الحال ، وشكر كل منهم نعمة الكريم المتعال ، خرج شكيب إلى قاعة الاستقبال ، وصار يستقبل وفود القادمين للسلام عليه . ثم مدت الموائد ، ونودي بالفقراء للطعام ، وقامت الأفراح ، وهتف بشير الأنس بحي على الفلاح .

وما زال الحال على ما ذكرنا من البهجة والرواء ، مدة أربعين يوماً ، في خلال ذلك عرضت الأميرة فارعة على الأمير شكيب أن يعقد لطلال على الفتاة فاخرة ، بنت صديقتها في أول نكبتها ، وذلك بناء على ما ظهر من مروءته و صداقته . وللأمير العوني بزهيدة مكافأة له على ما ظهر من حسن خدمته . ففرح شكيب لهذا الرأي ، واستحسنه . وفي الحال ، استدعى العوني وطلال ، وفاوضهما فأجاباه وشكراه ، فعقد لهما على الفتاتين المذكورتين ، وأفرز لهما محلاً عنده ، وأمر بتزيينه وفرشه بأفخر الأثاث والرياش . وحينما انقطعت مدة الاحتفال بالزينة ، زفت العرائس الخمس في ليلة واحدة . فكان زفافاً غريب الشكل ، عجيب الوقوع ، نادر المثال ، وقضى كل منهم ليلته على أشهى ما يكون من مجالي الأنس والحظ . فسبحان من لا يضع عنده عمل عامل ، ولا يخيب فيه أمل أمل .

ما سلم الله هو السالم ليس كما يزعمه الزاعم
تجري المقادير التي قُدرت وأنف من لا يرتضي راغم

وفي اليوم الثاني ، جلس شكيب في ديوانه ، واجتمعت من حوله الامراء يهنونه ببلوغ الآمال ، والنصر على الأعداء ، فشكرهم على صفاء ودهم ، وصدق عهدهم ، وأمر لكل واحد منهم بهدية سنوية ، وأمر لسالم أخيه تامر باستلام كل ما في الجابية ، وسلم له قصر تامر بما فيه . وبعد مضي اسبوع ، استأذن كل من الأمراء ، بالرجوع إلى أوطانهم ، فأذن لهم ، وقد أسف على فراقهم .

وكان من جملة من سافر من الأصدقاء أيضاً ، الأمير العوني ، فانه قد أخذ زوجته وسافر بها إلى العونية . وأما والدتها ، أي زوجة ابراهيم الراعي ، فقد جعلتها فارعة قهرمانة ^(١) قصرها ، ومديرة ادارتها . وبقي ابراهيم المذكور ، وولده

(١) كلمة فارسية تعني القيمة على ادارة القصر .

عبد الله وعبد الشكور والد سميرة في خدمة الأمير شقيب، وخصص لهم الجوامك^(١) والمرتبات، وأبقى طلالاً عنده من أخص معتمديه، وكذلك؛ صادق ونجيب. فقد أبقاها عنده، وخصص لهما محلات في قصره. وصار يعتمد عليهما في مهماته، ويشاورهما في كلياته وجزئياته، وأقطع لهما أملاكاً وأراض، وسلمهما مخازن الأغلال والحبوب، وأقامهما مديرين على جميع ما يملك من العقار والأملاك. وهكذا أمضوا حياتهم جميعاً في هناء أبدي، وصفاء سرمدى، وعيشة هنيئة، يغبطهم عليها البادي والحاضر، من الأكابر والأصاغر.

وأما تامر، فقد تفرق عنه ذووه، وهجره محبوه، وأصبح وحيداً يضرب في الأرض، عساه يقع على صديق يشكو إليه امره، ويفشي سره. فلم يجد. ولما أعيته الحيل، وضاق في عينيه فسيح الفضاء، وسدت في وجهه الأبواب، لجأ إلى دار السعادة^(٢) ولبث بها مدة. وصار يكتب من بقي من أهله، يتقضاهم المعونة والإحسان، فيعرضون الأمر على الأمير شقيب، فيمدّهم بالمال، ويشير عليهم بابداء النصيح إلى تامر بأن يرجع عن غيه، ويشوب إلى عقله، وأن يتذكر أعماله الذميمة، وما أفضت إليه آماله الوخيمة، ويعلم أن المرء أحدىثة لمن بعده. وخير الناس من اتعظ بماضيه، وأحسن السيرة في حاضره ليأمن شر آتیه، فيكتبون إليه بما أشار به الأمير، ويوسعونه نصحاً وزجراً، فيتظاهر لهم بالقبول بغية تواصل المدد إليه، وعدم انقطاعه عنه، ويذكر لهم ندمه على ما فرط منه، وإن له من توبيخات ضميره، أعظم معنف، وأقوى زاجر، وهم يغترون بأقواله، ويسرون برجوعه عن ذميم أفعاله، ولا يعلمون أنه:

أذا رامَ التَّخْلُقَ جاذبتهُ خلائقه إلى الطبع القديم

(١) الجوامك كلمة تركية تعني المرتبات.

(٢) دار السعادة - الآستانة - اسطنبول حالياً.

فقد كان يسعى في استغضاب أولياء الأمر في الاستانة على الأمير شكيب ،
ويفتري عليه أموراً لو لم يكن عدل الله ميزانا في الأرض لا يؤخذه إلا الفاعل
الجريء ، لكان نال ما يرجوه من الفتك بشكيب . ولكن العدل الالهي أخذ بناصيته ،
وظهر لأولياء الأمر سوء نيته ، وكذب سعايته . فطرحوه طرح القذاة ، ونبذوه نبذ
النواة . فلما يئس من نوال الآمال ، وقرأ من عنوان الحال نتائج الاستقبال ، ضعفت
همته ، وخارت قواه . ولكن لديه فاعلين^(١) يؤمنانه على نوال مبتغاه ، هما نفسه
الخبیثة وهواه . فلا زال مطيعاً لهما إطاعة العبد ، متمسكاً بذنب الأمل ، يسأل فيرد ،
ويطلب فيصد ، إلى أن أوقعه الله في شر عمله ، وحاق المكر السيء بأهله ، فمات
غير مأسوف عليه :

فانَّ الذي يبغى على الناسِ ظالماً تُصِّبُه على رَغْمِ عواقبِ ما صنعُ

(١) ولعلها عاملين .

الملك قوروش أو ملك الفرس

رواية تاريخية غرامية، صورت فيها زينب قبح العبادة المجوسية وحسن الوحدةانية، جمعت بين الفائدة والفكاهة، فيها سقوط دولة الماديين، وحلول دولة الفرس محلها، واستيلاء الملك قوروش عليها، وعلى مملكة نينوى وبابل، وانقراض هاتين المملكتين العظيمتين واندماجهما في طي مملكة فارس، كل ذلك (بتأثير الغرام، وفتك تلك الأجفان السقام، بقلوب الملوك العظام).

وتعتبر رواية «الملك قوروش أو ملك الفرس» من أحسن الروايات مغزى ومعنى.

الرسائل الزينية

كتبت زينب فواز في الأدب والفن والسياسة. و «الرسائل الزينية» هي مجموعة من المقالات التي كانت تنشرها في أكبر الصحف المصرية، تناولت فيها مجمل آرائها في المرأة والدفاع عن حقوقها. كما كتبت في السياسة والمجتمع والفلسفة والدين، وغير ذلك. وفيها ردود على العديد من الكتابات.

طبع هذا الكتاب بناءً على طلبات كثيرة وردت إليها من قرائها، يتمنون عليها أن تجمع مقالاتها في كتاب حرصاً على استبقائها، وهو ما ذكرته في مقدمة كتابها،

حيث قالت : (إن كتابي يشتمل على أبحاث في الدفاع عن حقوق المرأة ووجوب تعليمها، والنهي عن العوائد السيئة، وحضها على التقدم واكتساب العلوم، وما يتعلق بفضائل أخلاق النساء، وما لهن من تأثير على العالم الإنساني).

تقول السيدة فوزية فواز : (مما لا شك فيه أن لدى الكاتبة أكثر مما جمعت بين دفتي الكتاب (٢١٨) صفحة، لا سيما وأنه كُتب على غلافه - الجزء الأول - . وقد رُتبت مقالاته حسب تازيخ نشرها في الصحف. وقد قرظ أحد المقرظين له شعراً وتاريخاً وهو قاسم الشامي الأزهري).

وقد نشرت أول رسالة في عام ١٨٩١ م، وهو أول صوت نسائي عربي طالب بحقوق المرأة في العصر الحديث وضمن أوسع الحدود التي تسمح بها التقاليد الإسلامية.

تقول زينب فواز في رسالتها الأولى : (أنه مضى وقت طويل وباب السعادة مغلق أمام المرأة في الشرق، وهي آلة بيد الرجل، يسيرها كما يشاء، ويشدد عليها بالحجاب، ويسد أبواب التعليم وعدم الخروج من المنزل وحرمانها من حضور المحافل النسائية العامة).

وتتناول الكاتبة زينب في رسالتين قضيتي الطلاق وتعدد الزوجات، فتقول : (فأما الطلاق المجعول في يد الرجل بلا قيد، فإنه يسلب أمن المرأة، لأنها لا تدري بأي سلطة تضمن البقاء مع زوجها ولو عمرت معه عمر نوح، فتضطر إلى كثير من الخيانة، إن الرجال يجرون الطلاق لأسباب صغيرة، أو لأقل هفوة، وأما عدم الطلاق فيؤدي عند عدم الامتزاج إلى المضار والعداء في حياة الزوجين).

كما ترى زينب فواز أن تعدد الزوجات وبال على الطرفين، إنه يقضي على المرأة بالغيرة، وهي الطامة الكبرى، وعلى الرجل بنكد الدهر، ويورث الأولاد عداوة بعضهم لبعض، أشد من عداوة الأمهات.

كذلك دعت زينب في رسائلها إلى تشجيع الفنون وفي طليعتها المسرح ، لما له من أثر في تهذيب النفوس واكتساب الفضائل والآداب ، وتقول في « الرسائل الزينية » ص ٢٤ : (إن المرأة في التاريخ عملت في السياسة ، وشاركت في الحروب ، فملكة تدمر وكليوباترا واليزابيث ، وغيرهن كثيرات كن نساء قادرات على تلك الأعمال . فالجنسان متساويان ، وإنما الإهمال هو الذي جعل المرأة متأخرة متخلفة عن الرجل) .

وتقول زينب أيضاً إنه : (ما من أمة انبعثت فيها أشعة التمدن في أي زمان كان إلا وكان للنساء فيه اليد الطولى والفضل الأعظم . الشاهد على ذلك تاريخ العالم ، وتاريخ العرب والمسلمين ، وكذلك حاضر الأمم المتمدن في أوروبا وأميركا . ويتجلى دور المرأة في التقدم البشري ، فيما قامت وتقوم به من أعمال وإنجازات ، وفي تربية الأطفال) .

وتؤكد فواز على أن تربية البنات هي قاعدة كل تربية . إذ إن فساد الولد من الأم ، حيث تقول : (كيف يصلح شبابنا وقد تغذوا بلبان الجهل ونشؤوا في مهد الهمجية) . فجهل النساء ينعكس بالنتيجة على الأولاد ، لأن النساء أساس العمران والمدرسة الأولى لكل من دب على الأرض من جنس الرجال ، فيهن يتقدم ، وبهن يتأخر .

كما تشير الكاتبة إلى أن جهل المرأة يجعلها فريسة سهلة للشعوذة والدجل الديني ، وضمن هذا الإطار تتحدث في عدة رسائل عن حفلات الزار .

يقول بوعلي ياسين في كتابه « حقوق المرأة في الكتابة العربية منذ عصر النهضة » ، إنه في عشر رسائل من أصل ٧١ إحدى وسبعين رسالة ، تبحث الكاتبة زينب أو تناظر في المفاضلة بين الرجل والمرأة فتدعو إلى المساواة ، لا تفضيل جنس على آخر ، إلى المشاركة لا المزاومة : (إنما نحن جنسان مشتركان في هذه الحياة لا ثالث بيننا ، ولا يمكن لأحدنا الاستقلال دون الآخر . ولكل منا ملهى في مرسح الحياة يلهمه عن مزاومة الآخر ، وهكذا نحن شركاء في السراء والضراء .

والإنسان مكلف بعملين لبقاء الشخص والنوع ، وكلا القسمين عاجز عنهما بانفراده ، فكل منهما ناقص من جهة ، زائد من جهة أخرى ، لكن متى انضما ، كان منهما ماهية إنسان كامل). ولا تنكر الكاتبة أن المرأة متخلفة عن الرجل لكنها لا تعتبر ذلك من الطبيعة بل باستبداد وتسلب الرجال على حقوق النساء وإهمالهم تعليمهن .

وتقول زينب فواز في رسالتها الموجهة إلى هنا كوراني : (فالمرأة إنسان كالرجل ذات عقل كامل ، وفكر ثاقب وأعضاء متساوية ، تقدر الأمور حق قدرها ، وتفصل بين الزمان والمكان ، وكم من امرأة حكمت على الرجال).

وقد تكون « الرسائل الزينية » الأهم في نتاج زينب فواز إذ ألها مؤشرا إلى المدى الذي بلغته هذه الأدبية في وعيها ونضج تفكيرها .

كشف الإزار عن مخبآت الزار

وهو عبارة عن مقالات تتحدث فيها عن تلك الآفة الاجتماعية التي سيطرت على المجتمع المصري ، وصورت فيها البيئة القاهرية التي كانت مصدراً مشهوراً لمعظم الخرافات ، وفي طليعتها مسألة الزار . فنبهت زينب بمقالاتها إلى أسوأ العادات المصرية وأثرها السيء على البيئة الاجتماعية . وقد اشتمل كتاب الرسائل الزينية على موضوع بهذا الاسم ، وهو كما يبدو تعقيبات صحفية على كتاب «الإزار عن مخبآت الزار» لمحمود شكري صاحب جريدة « البستان » المصرية ، كانت قد نشرتها زينب فواز في جريدة « النيل » . ومن المحتمل أن تكون هذه المقالات أو التعقيبات قد جمعت في كتاب مرادف لكتاب محمود شكري ، سمته كشف الأسرار عن مسألة الزار ، ولكنه لم يظهر إلى عالم الوجود . ولعل السيد محسن الأمين قد عناه حين ذكر أسماء مؤلفاتها .

تعقيب على مقالة هنا كوراني جريدة « النيل »

بقلم : زينب فواز

كتبت زينب فواز في جريدة « النيل » في العدد ١٥١ بتاريخ ١٨ ذي الحجة ١٣٠٩ هجرية ١٨٩٢ م ، مقالة تحت عنوان « الإنصاف » ردت به على هنا كوراني ، فقالت :

(نشرت جريدة « لبنان » مقالاً تحت عنوان « المرأة والسياسة » ، لحضرة الأديبة الفاضلة هنا كوراني ، فهي وذمة الحق غاية في المني وأعجوبة في رقة المعنى إلا أنها جارت في حكمها ، وشددت النكير على بنات جنسها ، وضربت عليهن الحجر المنزلي ، وعملت على منعهن من التدخل في كل الأمور الخارجية المختصة بأعمال الرجال ، من مثل قول حضرتها : « إن المرأة لجهلها شرف مقامها تظن أن مساواتها بالرجال لا تتم إلا بعملها ، وإن المرأة لا تقدر على عمل خارجي مع أداء واجبات ما يلزم لخدمة الزوج والأولاد » وقول حضرتها في هذه الخطبة ، أي الخطبة المنزلية طبيعة للنساء ، ولا يجوز لهن أن يتخطينها ، إن هذه سنة قدسها الله لهن ، ولو تجاوزنها لتغير نظام الكون ، وتبدلت نواميس الطبيعة ، ولو حاول الإنسان إبدالها لخاب أملاً ولفشل عملاً ، ولا يمكن إبدالها وتغير القصد فيها إلا بالهلاك العاجل أو الآجل . وقول حضرتها ، لم يفقهوا بعد كالواجب ، ما هي المرأة ، وما هو الرجل ،

بل تراهم يحاولون أن يساوا بينهما بمجرد الأعمال ، وهذا بهتان ووبال على الجنس عميم ، لا بد أن ينتج عنه ويل شديد وبلاء جسيم ، إن الطبيعة تجازي من يتعدى نظامها بالحزن والألم إلى غير ذلك ، من مثل هذه الأقوال ، ووجهت سهام اللوم على نساء إنكلترا ، كيف أنهن طلبن التداخل في الأمور السياسية ، وهو الطلب الذي لا يخفى على القراء الكرام ، المتضمن ما كان من أمر لا ثحة الانتخاب المختصة بطلب النساء وكيف أبطلها المستر غلادستون في مجلس نواب إنكلترا ، فخطأتهن الفاضلة بهذا الطلب ، ووافقها على ذلك حضرة الأديب الفاضل صاحب جريدة « لسان الحال » وإني لأبدي ما جال بفكري من هذا القبيل :

دواؤك فيك وما تبصر

وداؤك منك وما تشعر

تأمل أيها العاقل كيف أن الإنسان صغير بالجرم ، كبير في العالم ، ضعيف في نفس الأمر ، قوي بالفعل ، يقدم على الصعاب يذلها بقوة ذكائه ، ويهجم على الأمور بهمة ، فتنقاد له طوع بنانه ، خضعت له جميع الموجودات بحسن تديره وقوة حزمه ، لا يشي عزمه شيء متى ثبت قدمه في طلب ما يرغب الاستحصال عليه والوصول إليه ، ولولا الحزم لما ازدهى العمران كما هو الآن ، ولا سطعت أنوار العلم والعرفان ، ولا خفقت أعلام التقدم في هذا العصر ، ولا استحسنت أوروبا على قصورها الشائقة ، وأبنيتها الفاخرة ، وسككها الحديدية ، وأسلاكها البرقية ، ولا خرجت من وراء ضباب توحشها الأصلي إلا بالحزم والإقدام ، ولا كثرت الاختراعات والاكتشافات إلا بعد الخوض في عباب الأقدار وتجشم الأخطار ، ولولا ثبات عزم الإنسان لأرجعته عن مقصوده أقل عشرة وأوقفته في طريق بلوغه إلى الغاية ، أدنى صدمة ، ولا كان يتسنى له أن يخرج من ربة التوحش إلى ميدان التمدن ، ولو كانت كل عشرة في طريقه يحسبها خيبة وأنهزم منها متقهقراً يجر ذبول الخجل ويعض أنامل الخيبة والفشل ، لما عمر الكون ولا ظهر شيء مما تراه اليوم من

هذه الموجودات التي تدهش العقول وتحير الأفكار ، وببركة الإقدام فتحت الفتوحات وعمرت البلدان .

وما من أمة فشأ فيها داء الكسل وسرت إليها علة الخمول ، إلا دمرتها وهدمت أركان عزمها ودكت حصون تمدنها ، ومما يؤيد لنا ذلك هو ما ظهر لنا من تقدم الغرب على الشرق في هذا العصر حينما عولج أهله وشفى جسمهم من داء الكسل والخمول ، فازدهر عصرهم على جميع العصور ، وفاق كافة الدهور ، إلى حد أنه حار النساء فيه يبارين الرجال ويشاركنهم في الأعمال ، وحيث قد أجمع السواد الأعظم منهم على أن الرجل والمرأة متساويان بالمرتبة العقلية وعضوان في جسم الهيئة الاجتماعية لا غنية لأحدهما عن الآخر . فما المانع إذا من اشتراك المرأة في أعمال الرجال وتعاطيها الأشغال في الدوائر السياسية وغيرها ، متى كانت جديرة تؤدي ما ندبت إليه ، وإلا فما فائدة تعلم المرأة الغربية جميع العلوم التي يتعلمها الرجال من فلسفة وحكمة ورياضة وهندسة ، وتدرس القوانين السياسية ، إذا كانت لم تعمل بمقتضاها وتخدم النوع البشري ، وتعد من أعضاء الهيئة الرئيسية ، إنها ما خلقت لكي لا تخرج عن دائرتها المنزلية . وأن لا تتداخل فيما يختص بالأعمال الخارجية سوى ما يلزم من تدبير المنزل وتربية الأولاد والطبخ والعجن . وما أشبه ذلك فقط ، كما تعتقد حضرة الفاضلة .

لا لعمرى ، بل عوائدهن تسمح لهن بأن يكتسبن كل فن من الفنون ويعملن به ، وأما تدبير المنزل وتربية الأولاد فإنها ملكة في النساء طبيعية غريزية لا يلزم لها درس ولا تعليم ولا سن قوانين ولا قواعد ، بل من أراد أن يعرف قوانينها يأخذها عنهن بدون أن يرى كبير عناء سواء كن في حالة التوحش أم لا ؟ حتى إن المتوحشات من النساء يدبرن منازلهن ويربين أولادهن بقدر الإمكان .

وأما قول حضرتها ، إن تجاوزهن لتغيير نظام الكون وتبدل نوااميس الطبيعة . نعم إن للوجود طبيعة لا يمكن إبدالها وله في خلقه نوااميس لا يتسنى تغييرها ، وهذا

التغيير ليس باستخدام المرأة بأشغال الرجال أو باستخدام الرجال بأشغال النساء كما تتوهم حضرتها، إن ذلك ليس من المستحيل الذي لا يتأتى للإنسان أن يجربه ولا من الأمور التي يحصل منها ما يكدر راحة النوع الإنساني كما توهمت من استحالة ذلك بقولها: ﴿ كما لا يتأتى للإنسان أن يحول من البخار ذهباً أو حديداً ، كذلك لا ينبغي للمرأة أن تخرج من خطتها المنزلية ﴾ . والحال أننا لم نر شريعة من الشرائع الإلهية أو قانوناً من القوانين الدينية ، قضى بمنع المرأة أن تتداخل في أشغال الرجال ، وليس للطبيعة دخل في ذلك ، وما أظن بأن الشمس تحولت غرباً ، ولا ماء البحار صار عذباً . ولكن المرأة إنسان كالرجال ذات عقل كامل وفكر ثابت وأعضاء متساوية ، تقدر الأمور حق قدرها وتفصل بين الزمان والمكان ، وكم من امرأة حكمت على الرجال وساست الأمور ورتبت الأحكام وجندت الجنود وخاضت المعامع ومارست الحروب ، كالملكات اللواتي سسن ممالكهن أحسن سياسة كما أنبأنا التاريخ عمن تقدمنا من قبل ، مثل : كليوباترا ، والملكة زنوبيا ملكة تدمر ، وآليصابات ، وغيرهن ممن سلفن ، وما رأينا من تداخلهن في شؤون الرجال ما أدخل في نظام الطبيعة أو نقص تدبير منازلهن . بل إن النظام العائلي مازال باقياً على ما كان عليه . وهو كأي بها تعترض علي بقولها : إن هؤلاء ملكات وقادرات على تأدية وظائفهن المنزلية والإدارية ، فأقول :

نعم وقد أنبأنا التاريخ عن نساء العرب كيف شاركن الرجال بالأعمال والحروب ، وتكبدن الأخطار ومعاناة الشدائد والأهوال مع أنهن كن زوجات وأمهات ، وكم درج من عشهن رجال وأي رجال ، رجال ملكوا الدنيا بأجمعها ، ولم تخل بنظامها زوجاتهم وأمهاتهم ، بل كن يساعدهن على إعمارها وحسن نظامها .

ومن الشواهد أيضاً في عصرنا هذا أن الرجل لو مر في شوارع أي مدينة كانت من المدن الشهيرة ، وجد مخازنها غاصة بالنساء الأوروبيات ، يتعاطين

الأعمال التجارية وحسابها، والأشغال اليدوية وإتقانها على ما ينبغي، وكلهن زوجات وأمّهات يدبرن أمورهن المنزلية وأشغالهن الخارجية على أحسن نظام، ثم إذا نظرنا إلى النساء الفقيرات اللواتي عندنا في مصر والإسكندرية وجميع الأنحاء المصرية، نجد أغلبهن يتعاطين الأشغال كالرجال، فممنهن تاجرات وصانعات ومنهن من يشتغلن مع الفعلة في البناء، وغير ذلك مما يختص بأمر المعاش المطلوب من الرجال، فنجد العائلة من رجل وامرأة وأولاد، فالرجل يتوجه إلى مهنته، والمرأة تتوجه إلى حرفتها وإن كانت تاجرة إلى حانوتها بعد أن تنظر في صالح منزلها وما يلزم لأولادها من طبخ وعجن وغسيل وما أشبه ذلك. فنجد الأسواق غاصة بالنساء، يبارين الرجال بالمعاملات والأخذ والعطاء وغيره من هذا القبيل.

ثم إننا إذا حولنا النظر إلى جهة الأرياف، نجد الغيطان والحقول عامرة بالنساء، بعدد الرجال وأكثر. وكلهن يساعدن أزواجهن وأبناءهن ويجرين الأعمال كالرجال من زرع وقلع وحصد، وغير ذلك في ما يختص بأشغال الزراعة التي هي حياة العالم. وهؤلاء أيضاً لهن أزواج وأولاد، فالعاقل الذي ينظر في أمور هذه الدنيا يجد الجنسين متساويين، وإنما الإهمال أوجب تأخير المرأة ليس إلا.

وإني لا أخطئ نساء إنكلترا بتدخلهن في أمور السياسة وطلبهن حق الانتخاب، بل أقول: نعم لهن حق أن يطلبن هذه الخطة مادمنّ قادرات على أداء واجبهن كما يؤديه الرجال.

ومن المعلوم أن تعاطي أمور السياسة، لا يكون إلا بعد درس القوانين السياسية والاجتهاد في أخذ العلوم الإدارية، وغيرها مما يلزم لهذا المركز الخطير. والمرأة في الغرب لا فرق بينها وبين الرجل في درس العلوم وتعليم كل ما يلزم للرجل من العلوم السياسية والتجارية والصناعية، وغير ذلك مما يدور عليه محور العالم الإنساني. فلم لا تطلب الاشتغال في السياسة كما شتغالها بالتجارة والصناعة، وغيرها مما يلزم للإنسان في هذه الحياة الدنيا. وليس إبطال اللائحة التي

قدمتها متضمنة ذلك الطلب أمراً يوجب عليهن اللوم والتعنيف . لا لعمري لأن الإنسان لا بد أن يصادف في سبيل إدراك المقصود موانع تصده عن الغرض ولا لوم عليه ولا تثريب ، وعلي أن أسعى وليس علي إدراك النجاح . ولولا معارضة الذين بيدهم مقادير الأمور كالمستر غلادستون وغيره ، لما كانت صادفت لائحة النساء ما صادفته من المنع ، ولم يكن إبطالها عن سبب يشير إلى نسبة العجز إليهن ، أو للحد من العقبي . لا لعمري بل نظروا لها بعين الحقد وظنوا أنها من باب المنازعة في الحقوق ، فكثرت اللفظ وزاد القيل والقال واستفحل الأمر واشتدت الأزمة ، وكان ما كان .

وهذا ليس بأول أمر صادف معارضةً ، بل هي عادة الله في خلقه ، وسنة الزمان في كل أمر بدىء به ، كما لا يخفى على كل من اطلع على تواريخ الأمم . وحيث أن تداخل النساء في السياسة هو أول أحداث ، فلا بد أن يستعظمه كل من لا يعرف كنه المسألة سيما إذا كان من الحاسدين . وأما النساء اللواتي استحسن رفض هذه اللائحة ، فهن ولا مؤاخذه أحق باللوم من غيرهن ، لانهن اخترن العزلة والكسل ، وفضلن البطالة على العمل ، ورضين بالفخفة وجر الذبول على بساط الخمول ، ولو اجتهدن كأخواتهن لكنَّ فعَلن ما تقتضيه واجباتهن ، وكن أبدين ما عندهن من الحزم والرغبة في خدمة النوع والوطن ، وهو الأليق بهن ، وإن لم يصادف نجاحاً ، وعلى كل حال فإن مشاورة المرأة على طلب التقدم حتى تنال حقوقها ، لا يعد ذنباً عليها ، بل يفتخر بها مدى الدهر فتكون مذكورةً بلسان الشكر على فتحها باب النجاح لأخواتها) .

الباب الرابع

نماذج من كتابات زينب فواز

من كتاب الدر المنثور في طبقات ربات الخدور

١ - عائشة التيمورية .

٢ - فاطمة الخليل .

٣ - مريم نحاس نوفل .

٤ - خولة بنت الأزور .

٥ - ليلي العامرية .

٦ - زينب ملكة تدمر .

عائشة التيمورية

عائشة عصمت بنت اسماعيل بن محمد كاشف تيمور .

أديبة فاضلة ، حكيمة عاقلة بارعة باهرة ، شاعرة ناثرة رضعت أفويق الأدب وهي في مهد الطفولة وتحلت بحلى لغات العرب قبل تضلعها باللغة التركية وفاقت على أقرانها فصاحة عند بلوغها سن الرشد وصارت نادرة زمانها ، بين أهل الإنشاء والإنشاد ولم تدع لولادة مقالاً ولم تترك للاخيلية مجالاً . وقد اخنست الخنساء وأنستها صخر ، وسارت في مضمار أدباء هذا العصر . تعلمت العلم والأدب في مصر القاهرة على أساتذة أفاضل بين أبويها ، وكانت أكثر ميلاً إلى علم النحو والعروض حتى بلغت في الشعر حداً لم يبلغه غيرها من نساء عصرها .

ولدت سنة ١٢٥٦ بمدينة القاهرة ، والدتها جركسية الأصل معتوقة والدها إسماعيل باشا تيمور ، ولما انطوى بساط مهدها وفرقت بين أبيها وجدها بادرت والدتها إلى تعليمها فن التطريز ، واستحضرت لها آلات التعليم . وكانت أفكارها غير متجهة لتلك بل جل مرغوبها تعلم القراءة والكتابة . وقد علم منها هذا الميل من إيتلافها مع كتاب والدها . وكلما كانت والدتها تمنعها عن الحضور مع الكتاب وتجبرها على تعلم التطريز تزداد هي نفوراً من طلب والدتها . ولما رأى والدها تلك المحاورات تفرس فيها النجابة ، وقال لوالدتها : دعيها فإن ميلها إلى القراءة أقرب . وأحضر لها اثنين من الأساتذة أحدهما يدعى إبراهيم أفندي مؤنس كان يعلمها القرآن والخط والفقه ، والثاني يدعى خليل أفندي رجائي كان يعلمها علم الصرف واللغة الفارسية ، وبعدها تعلمت القرآن الشريف . تافت نفسها إلى مطالعة الكتب

الأدبية وأخصها الدواوين الشعرية ، حتى تربت عندها ملكة التصورات لمعاني التشبيهات الغزلية وخلافها ، ولما صارت قريحتها تجود بمعان مبتكرة لم يسبقها عليها غيرها رأى والدها أن يستحضر لها أساتذة عروض من النساء الأديبات . وقبل إتمام ذلك صار زواجها من السيد شريف محمود بك الإسلامبولي ابن السيد عبد الله أفندي الإسلامبولي كاتب ديوان همايوني بالآستانة سابقاً ، وذلك كان سنة ١٢٧١ هجرية .

وهناك اقتصرت على المطالعة وإنشاء الأشعار ، والتفتت إلى تدبير المنزل وما يلزم له ، خصوصاً حينما رزقت بالأولاد والبنات ، وبقيت على ذلك حتى كبرت بنت كان اسمها وحيدة فألقت إليها زمام منزلها . وكان في تلك الفترة توفي والدها في سنة ١٢٨٩ ، وزوجها في سنة ١٢٩٢ ، وصارت حاكمة نفسها ، فأحضرت لها اثنتين لهما إمام بالنحو والعروض ، إحداهما تدعى فاطمة الأزهرية والثانية ستيتة الطبلاوية ، وصارت تأخذ عليهما النحو والعروض حتى برعت وأتقنت بحوره ، وأحسنّت الشعر وصارت تنشد القصائد المطولة والأزجال المتنوعة والموشحات البديعة التي لم يسبقها أحد على معانيها . ومن ذلك قد جمعت ثلاثة دواوين بالثلاث لغات العربية والتركية والفارسية . وقبل أن تشرع في طبعها توفيت كريمتها وحيدة ، وهي في الثامنة عشرة من عمرها . فاستولى على المترجمة الحزن والأسف الشديدين حيث أنها كانت مدبرة منزلها ولم تحوجها لأحد سواها . وهناك تركت الشعر والعروض والعلوم وجعلت ديدنها الرثاء والعديد والنوح مدة سبع سنوات حتى أصابها رمد العيون . وهناك كثرت لواحها وعواذلها من أولادها وصويحباتها ونهوها لتقلع عما هي فيه .

وسير، سمعت قول الناصحين، وقللت شيئاً فشيئاً من البكاء والنوح حتى شفاها الله من مرض العيون. فجمعت ما وجدته من أشعارها، فوجدت بعضه والباقي تفرق مدة حزنها. فجاء من ديوانها بالتركي سمته (شكوفة)، وديوان عربي سمته (حلية الطراز) وقد طبع ونشر وكان له وقع عظيم في النفوس وقبول زائد عند أهل الأدب. وبعد ذلك رأت نفسها أنها قادرة على التأليف فألفت كتاباً سمته (نتائج الأحوال)، فجاء غريباً في بابه، وقد طبع ونشر أيضاً. ولما انتشرت مؤلفاتها المذكورة سارت في حديثها الركبان إلى أقصى العمران وطار صيتها في الآفاق، ووردت إليها التقارير من كل جهبذ أديب ولو ذعي أريب. وجميع ما ورد لها من التقارير مكتوب في مؤلفاتها المذكورة التي منها هذا التقرير الآتي من السيدة ورده اليازجي التي أبدعت فيه لركة معانيه على ديوان «حلية الطراز» وهذا نصه :

سيدتي ومولاتي!

إنني قد تشرفت بإطلاعي على حلية طرازكم التي تحلى بها جيد العصر. وأخجلت بسبك معانيها خنساء صخر. أرى وهي الدرة اليتيمة التي لم تأت فحول الشعراء بأحسن منها وقصر نظم الدر عنها، وشنفت بحسن ألفاظها مسامعنا. حتى غدا يحسدها السمع والبصر، وسارت في آفاقنا مسير الشمس والقمر. ولقد تطلعت مع اعترافي بالعجز والتقصير بتقرير وجيز، فكنت كمن يشهد للشمس بالضياء، أو بالسمو للقبه الزرقاء، راجية من لديكم قبوله بالإغضاء، ولازمت للفضل مناراً يسطع، بين الأدباء المقام الأرفع، بمن الله وكرمه.

حبذا حلية الطراز أتت من مصر تزهر باللؤلؤ المنظوم
حلية للعقول لا حلية الوشي وكنز المنطوق والمفسوم

أنشأته كريمة من ذوات المجد
شمس علم تأتي القصائد منها
كل بيت بكل مسعنى بديع
قد أعاد الزمان عائشة فيها
هام قلبي على السماع وأمسي
هي فخر النساء وردة في
فأدام المولى لها كل عز
والفجر فرع أصيل كريم
سائرات في الأفق سير النجوم
ما على السكر فيه من تحرير
فعاشت آثار علم قديم
ذكرها لذتي وفيها نعيم
جيد ذا العصر زينت بالعلوم
ما بدا الصبح بعد ليل بهيم

ومن تقاريط كتاب «نتائج الأحوال» التقريظ الآتي من السيدة وردة اليازجي أيضاً وهو:

سيدتي ومولاتي!

اعرض أني بينما أنا ألهج ألطافكم السنية، وأتنسم شذا أنفاسكم العبقرية
وأترقب لقاء أثر من لديكم يتعلل به الخاطر، ويكتمل بأثمد مداده الناظر، ووصلتني
مشرفتكم الكريمة وفريدة عقد وردكم اليتيمة. فجلت عن العيون أقذاءها، وردت
إلى النفس صفاءها. فتناولتها بالقلب لا بالبنان، وتصفحت ما في طيها من سحر
البيان.

هذا الكتاب الذي هام الفؤاد به ياليتني قلم في كف كاتبه

لعمري إنه كتاب حوى بدائع المنشور والمنظوم، وتحلى من دور الفصاحة
فأخجلت لديه دراري النجوم. وقد تطفلت على مقامكم العالي بهذا الجواب،
ناطقاً بتقصيري، وخمته من مدح سجاياكم، لا زلت للفضل معدناً وذخراً،
وللأدب كنزاً وفخراً.

أنت فشفت بطيب الوصل قلبي
بديعة منظر سلبت فؤادي
جلت وجهاً كبدر التم لكن
لها وشم كخط السحر وافى
فصيحة منطق ناغت بلفظ
أنت تروي لنا عن لطف ذات
وقد أهدت تحيات تحاكي
رسول للولاء دعت فؤادي
ولاء كريمة خير لقوم
فتاة زينت جيد المعالي
أهيم بها على بعد وماذا
على مصر السلام وساكنيها
على ربع به قلبي مقيم
ألا يا من سمت في كل فضل
ومن فاضت مكارمها فأحيت
لقد أوليتني كرمًا وجوداً
ثناء لست منه غيـر أني
ورب مؤلف كالروض أجرت
تهادت فيه أبكار المعاني
لقد طابت فكاهته وأهدى
جلا الحِكم التي كانت مناراً

فتاة تيمت قلب المحب
ومن لي أن أطالبها بسليبي
يلوح من الغدائر تحت حجب
لديه الخال بالتنقيط يسبي
كسلسال من الصهباء عذب
غدت باللطف تسبي كل لب
شذا النسمات عاطرة المهب
فبادر عند دعوتها يلبي
سموا شرفاً على عجم وعرب
بدرٌ من حلى الآداب رطب
على الأقدار أن سمحت بقرب
ومافي مصر من ماء وترب
ومن لي أن أقـم مكان قلبي
ونالت كل خلق مستحب
لدي من القريحة كل جذب
بمدح من صفاتك جاء ينبي
به فاخترت أترابي وصحبي
عليه بما البلاغة أي سحب
تجر من الفصاحة ذيل عجب
لاسقام القرائح خير طب
لكل بصيرة في كل خطب

رأيت نتائج الأحوال فيه
لتيمورية العصر المحلي
أديبة معشر شرفت أصولاً
حوت قصب السباق بكل فن
ودونك غداة عذراء وافت
واني لو قدرت جعلت ذاتي
تقر بعجز من نظمت حلاها

ممثلة تلوح بغبير نقب
بما نسجت يداها كل حلقب
وسارت بين أقلام وكتب
وراضت في المعاني كل صعب
بمهجة شيق للفاك صب
بها سطرأ ينادي الركب سربي
وتلتمس القبول وذاك حسبي

ومن إنشاء المترجمة نثراً ما قالت ونشر في جريدة « الآداب » يوم السبت
الموافق ٩ جمادى الثانية سنة ١٣٠٦ هجرية تحت عنوان (عصر المعارف) وهي :

لا تصلح العائلات إلا بتربية البنات

إنى وإن كنت لست أهلاً لمجال المقال في هذا المضمار، ومعرفة بقصر اليد عن قبض زمام المنال، لا عتكافي بخيمة الإزار، لكنني أرى من خلال أطرافه أن مناهج التربية ظرف الكنوز، وبحدود مسالك التأديب مفاتيح كل جوهر مكنوز، فالواجب على كل ذي نفس كريمة، أن يميل كل الميل إلى تلك السبل الفخيمة، ويحث كل عزيز له أن يرتع في مراتعها القوية، ليحظى بتلك الجواهر اليتيمة. مع أنني أرى الهيئة الشرقية لا تنظر إلا ما هو أمامها من الصالح، فتخص به نفسها، ولو التفتت إلى ما بعد يومها وتفقدته، لعضت أنامل الندم على ما فرطت، ووجدت بالالتفات إلى حكم باريء السمات وموحد المخلوقات، وهي المصانع البديعة الربانية، والمباني الأصلية الطبيعية، صيرورة مدار عمران هذا العالم على الزوجين. ولو أمكن الانفراد لخص عالم الأسرار أحدهما دون الآخر وهو الأفضل، ولم يفقره إلى ما هو دونه، فكان التأمل في هولى هذا الكون موجباً على الهيئة الرجولية العناية بتأديب البنات وتهذيب العائلات، لان ثمرة السؤدد راجعة إليها، فلربما أنه عقد أمر على الرجل فأدهشه، فلمته الزوجة بأطراف بناتها الرقيقة، وأخذت جذوة ولوعه بتدابيرها الدقيقة. وهو مع ذلك يجتهد في أن يكتم فضلها بين أفراد الهيئة، ويحذر من إعلانه خشية أن يقال هي ذات معلومية، فيكدر عيشه الصافي. وهذا بخلاف الدولة الغربية. فالأسف ثم الأسف على هيئة لم تمض فحصها في هذا النسق البديع، ولم تجهد نفسها في البحث على هذا الشرف الرفيع. والعجب ثم العجب على مدينة تشغف بتزيين فتياتها بحلي مستعار،

وتستعين على إظهار جمالهن بزخرف المعادن والاحجار . وتتخيل أنها زادتھن بسطة في الحسن والدلال ، والحال أنها ألفت تلك الأحداث في أخذود الوبال ، لأنه لم يعد عليهن من تلك المستعارات إلا العجب والغرور ، المؤدي بهن إلى ساحة المباهاة والفجور ، وذلك لكف بصيرتهن عن الإدراك وعدم علمهن بنتائج الأحوال وعواقب الأمور .

قد زينت بالدرغرة جبهة وتوشحت بخمار جهل أسود
وتطوقت بالعقد تبهج جيدها . والجهل يطمس كل فضل أمجد

فلو اجتهدت الهيئة الرجلية في حسن سلوكهن بالتربية ، وجذبتھن بشواهد المدنية إلى طرف الاطلاع ، لتتوجت تلك الغانيات من تلقائها بيواقيت المعلوماتية ، وتقلدت بآلىء التفقه . وكلما شبت ألفت خطواتها في طرق الإدراك ، وأدركت مزية حليها الأصل فزادته جلاء ، وفطنت بغلاء قيمته فأوقرته بهاء وسناء ، واستغنت بلمعة شرفه عن أرفع جوهر قماش ، ولو كان ملبسها ثوباً من الشاش .

إن العلوم لأهل الفخر جوهرة يسموبها قدر الوضيع ويشرف
فوجودها في درج مهجة فاضل ممن حازها بين الأنام مشرف

فأستوهبكم العفو يا أرباب العقول عما سأقول : نحن معاشر المخدرات أدرى منكم بنشأة الأطفال من بنين وبنات ، إذمن المعلوم أن الطفل حيثما صار على كف القابلة بادر أولاً بالبكاء ، ثم هجع برهة لفتوره مما لاقاه من التعب ، لاسيما إطلاق صوته في الصياح الذي لم يكن سبق له ، ثم يتبّه محركاً جيده يميناً وشمالاً فاتحاً فاه لطلب الغذاء ، فترضعه أمه فينام على أثر الشبع . فترى منه بسيمات خفيفة في أثناء نومه . وهذا دليل على أن دنيانا دارهم ومحل أحزان وغم ، كثيرة الجفاء قليلة الصفاء . فإذا أخذ الطفل في النمو وبلغ خمسة أشهر ، كانت أول فطنته معرفة أمه ثم أبيه ، وتناول الشيء حيث هو منها لإيصاله إلى فيه ، فلكم التأمل في مبنى

هذه الإشارة الخفيفة والعبارة اللطيفة . ثم كلما اشتدت أعصابه وقويت أعضاؤه علا صياحه ، فتبادره الوالدة بالحنان معدة إليه فيصغي لسماع تلك الالحن . وإذا ضاق صدره من ألم عاجلته بكل حنان ، وحملته ودارت به من مكان . إلى مكان فيفرج كربه ويتلطف أله ، وهو يظن ذلك التلطف والتسكين بقدرتها ، وتبيت في قلق وضنك من الشفقة عليه . فإذا عوفى أتى إليه الوالد بما يبهجه وتقرُّ به عينه حسب قدرته ، فإذا كبر وترعرع وطمحت نفسه للشراسة الطفلية اخترعت له أمه ما يلهمه عن ذلك ، وخوفته بمخترعات الأسماء ، منها ما يتخيل به إرهاباً . وإذا صاح ذكرته به ، وإذا تشيطن نادت به اليه ، فيسكت الطفل . وتارة تذكر له أباه وتوجس به ، منه شراً فتوقع في قلبه من جهته الرعب ، فيستعظم قدرته ويكبره في عينه ، ويجعل هيئته إنسان قلبه ومركز ذاته .

فياليت شعري ، ماذا يكون من أمر هذه الفقيرة إلى العلوم وهي خاوية الوفاض عما تستحقه ، إن في ذلك لحكماً :

إن المصابيح إن أفعمتها دسماً أهدت لوامعها في كل مقتبس

وإن خلا زيتها جفت فتائلها أين الضياء لخيطة غير منغمس

وكيف تحسن الشفقة الوالدية بإساءة المشفق عليه ، فلو عنيت رجالنا معاشر الشرقيين بتربية بناتهم ، وأجمعت على تلقين العلوم لهن بمقدار شفقتهم ، لنالت أرفع مجد وأهنا جد ، ولعوضت تلك الفتيات عن ذلك القلق براحة العرفان ، وأوسعت بسواعد معلوميتهن مضيق السلوك إلى ساحة الاذعان ، وقامت بواجبات التدبير ، وهمت بوقاية أساس حليتها من التدمير ، لأن تخرب الدور بعد انقطاع أهلها طبيعي ، والطبيعي ليس بضار ، انما هدم سقف الشرف بصرصر الجهل مع وجود الديار هو العار بل النار .

ومن المستغربات أن يفرط الغارس في تمهيد الأصل ، ويأسف على اعوجاج
الفرع ، هو المؤدى به ، فلو أروت الرجال غرائسها من قرارة المعرفة والعرفان ،
لاتكأت في ثقل الأحمال على قويم تلك الأفنان ، وصعدت بمساعدتهن أعلى
الدرج ، وتمسكت بأقوى الحجج . ولكن تعالت هيئتنا هذه في التمتع عن التهذيب ،
بحجة أوهى من بيت العنكبوت ، وهي أنهم اذا تعلمن الكتابة يعلقن بالهوى ،
ومغازلة السوى بالجوى ، وبادرن بالمراسلات . ألم يطرق مسامعهم روايات الأمين
وأحاديث الجاهلين فيا رجال أوطاننا وملاك زمام شأننا ، لم تركتموهن سدى ،
وذهلتم عن مزايا التأمل في * ماذا تفعل اليوم ستلقاه غداً * فمن أنكم بخلتم عن أن
تمدوهن بزينة الإنسانية الحقيقية ، ورضيتم بتجردهن عن حليتها البهية ، وهن بين
أنامل سطوتكم أطوع من قلم ، وخضوعهن لسلطتكم أشهر من نار على
علم . فعلام ترفعون أكف الحيرة عند الحاجة ، كالضال المعنى ، وقد سخرتم بامرهن
وازدريتم بإشتراكهن معكم في الأعمال ، واستحسنتم انفرادكم في كل معنى ،
فانظروا عائد اللوم على من يعود .

واني أروم إظهار مقالي هذا ولكني لم أر ساعداً يكون لي مساعداً ، حتى
منحني المراد ، مفتاح درج ما كنه الفؤاد ، وهي رسالة إحدى السيدات التي ترى
تربية البنات من الواجبات . فيالها من سيدة جلّت بلوامع انتباهها في الليلة الليلية
سرجاً ، ورقت بقوة ادراكها في هذا السبق درجاً . وأنشقت أذهان السامعين من زهر
فطتها أرجاً ، وكحلت بإثمد نصحتها عيون الناظرين فأحيت بصيره ، وأدارت أسنة
اليوم عنهن لأنها بقدرهن خبيرة ، فحق لي أن أهنيء المخدرات بفضل تلك المشاركة ،
التي شنت مسامع الأيقاظ بهذه الإشارة . هذا وإنني أرى أنجم مصابيحها الغراء ،
تنور بين أيدي الفضلاء ، وتهدي أن يميل كل دان بالالتفات إلى ذلك الشئ المشهود ،
وتشغف كل مبصر بقبس منه يوصله إلى سبيل المقصود ، والسلام على من اتبع
الهدى .

ومن مراسلاتها إلى السيدة وردة كريمة الشيخ ناصيف اليازجي ، ردأ على خطاب ورد للمترجمة منها ، وهو : بسم الله أقول وعزة ما أثر البراعة ، وعذوبة مذاق مزايا البلاغة ، إني لأغبط كتابي ، لدى لقاء من أؤدي إليه جوابي ، فلو تطاوعني الإرادة لقرنت عين الإنسان بكل عين من حروفه ، وصيرت نفس مرآة العيان قرطى مظروفه ، أو قبل الشمل هديا لجعلت قربانه أبعد أورام أعظم رشوة وهبت إليه وجدا لم أجد له حداً ، وذلك عندما أقبل كتابكم من سماء المعاني بعقري الخطاب ، ونقشت رقة أرقام زبدة معانيه على صحاف الصدر ، فنطق الجنان قبل اللسان بالترحاب . فله در كتاب ما نطقت ولادة الا بحروف هجايته ، وما تغزل قيس إلا بالفاظ كادت تداني براعة بدايته ، قد أسس بشيريراعه بخلاصة تأثير مآله حديقة الحق بالود ، وسقى عطير مداده غرائس صدق تفترعن كل غرام ووجد . وقد عن لي أن أتزوج بتلك الحلية التي توسطت في فتح باب يانعة الوداد ، وأنالتي نشيق تفاحات وردت هي لانتعاش الروح عين المراد . فأملني أن لا تبخلي علي بتلك العاطرة ، ما هب الصبا ، كما أنك لا تبرحين من بالي ملاح كوكب ، لازال سنا عرفانك لائحاً بتيجان الربا ، وذكا بهائك ييدي سلام من حملها حبكم وصبا .

* * *

ومن مراسلاتها للسيدة وردة المذكورة أيضاً :

أستهل براعة سلام حمل الشوق رسالته ، وتقلد الشفق ما نشقت ناشقة عرف الوداد كفالاته ، ولو رضيت المجال في صدق المقال لنطق بخالص الوفاء مداد حروفه ، وأقام بأداء التحية العاطرة قبل فض ختام مظروفه . ولعمري قد توجته أزاهر الثناء بلآلي غراء ، وكللته زواهر الوفاء من خالص الوداد ، إلى حضرة من

لا تزال تستروح الأسماع بنسيم أنبائها صباحاً ومساءً، وتشوق الأرواح إلى استطلاع بدر إنسانها الكامل أطرافاً وائناً. ومما زادني شوقاً إلى شوق، حتى لقد شب فيه طفل الشفق عن الطوق، اجتلائي حديقة الورد القدسية، ونافجة الأدب المسكية. فيا لها من حديقة رمقتها أحداق الازهان، فاقبست نوراً ونوراً، وانتشقتها مسام الأذن فثملت طرباً وسروراً. ومنذ سرحت في أرجاء تلك اليانعة إنسان العيون، وشرحت بأفكار البصيرة أسرار ذلك الدر المصون، لم أزل بين طرب أتوشح بوشاحه، وأدب أتعجب من حسن اختتامه وافتتاحه، وجعلت أغازل من نرجس تلك الروضة عيونا ملكت مني الحواس، وأهصر من غصون ألفاتها كل ممشوق أهيف مياس، وأتأدب في حضرة وردها خوفاً من شوكة سلطانه، وإن حياتي بجميل الالتفات ضاحكة عن نفيس جمانه. وإذا بالياسمين الغض قد ألقى نفسه على الثرى، ونادى بلسان الإفصاح هل لهذه النضرة نظيرة يا ترى؟ فأشار المنشور بكفه الخضيب أن لا تطير لتلك الغادة، ونطق الزنبق بلسان البيان: لا تكتموا الشهادة. فعند ذلك صفق الطير بأكف الاجنحة وبشر، وجرى الماء لإذاعة نبأ السرور فعثر بذيل النسيم وتكسر، وتمايلت أغصانها المورقة لسماع هذا الحديث، وأخذت نسوماتها العطرة في السير الحثيث، إذاعة لتلك البشائر في العشائر، ونشراً لهذه الفضائل التي سارت مسير المثل السائر. فقلت بلسان الصادق الأمين، بعد تحقيق هذا النبأ اليقين، هكذا هكذا تكون الحديقة وإلا، وكذلك كذلك لتكتب الفضائل وتعلمي :

وحدثني يا سعد عنهم فزدتني غراماً فزدني من حديثك يا سعد
فتحمل عني أيها الصديق تحية إلى ربة هاتيك الحديقة، وأشرح لديها حديث
شغفي بفضلها الباهر على الحقيقة، واعتذر عن كتابي هذا فقد جاء يمشي على
استحياء، وكلما حرصه الشوق على القدوم يبطئه الحياء. وكيف وقد حل في منبع
الفضائل، والمقام الذي لم يدع مقالاً لقائل. فكأنني إنما أهدي الثمر إلى هجر،
وأمنح البحر الخضم بالمطر، أدام الله معالي تلك الحضرة، وزادها في كل حال بهجة
ونضرة، ملاح جبين هلال، وبلغ غاية الكمال.

ومن شعرها البديع قولها:

ولقد نظمت الشعر سيمة معشر
ما قلتُ له إلا فكاهة ناطق
فبُنيّة المهدي وليلى قدوتي
لله درّ كواعب نسبوا لها
وخصصن بالدّر الثمين وهامت الـ
فجعلت مرآتي جبين دفاتر
كم زخرفت وجنات طرسي أنملى
ولكم أضأ شمع الذكا وتضوّعت
منطقت ربات البهائم بمناطق
وحللت في نادي الشعور ذوائباً
عوّدتُ من فكري فنون بلاغتي
ما ضرّني أدبي وحسن تعلّمي
ما ساءني خدري وعقد عصابتي
ما عاقني خجلي عن العليا ولا
عن طي مضمار الرهان إذ اشتكت
بل صولتي في راحتي وتفرسي
ناهيك من سر مصون كنهه
كالسك مختوم بدرج خزائن
أو كالبحار حوت جواهر لؤلؤ
درّ لشوق نوالها ومناهلها
والعنبر المشهور وافق صونها

قبلي ذوات الخدر الأحساب
يهوى بلاغة منطق وكتّاب
وبفطنتي أعطيت فصل خطابي
نسج العلال لعوانس وكعاب
عخشاء في صخر وجوب صعب
وجعلت من نقش المداد خضابي
بعذار خط أو إهاب شيبابي
بعبير قولي روضة الأحباب
يغبطنها في حضرتي وغيابي
عرفت شعائرها ذوو والأنساب
بتميمة غرا وحرز حجاب
إلا بكوني زهرة الألباب
وطراز ثوبي واعتزاز رحابي
سدل الخمار بلمتي ونقابي
صعب السباق مطامح الركاب
في حسن ما أسعى لخير مآب
شاعت غرابته لدى الأغراب
ويضوع طيّب طيبه بملاّب
عن مسها شلت يد الطلاب
كم كنابد الغواص فعل عذاب
وشؤونه تتلى بكل كتاب

فأنرتُ مصباح البراعة وهي لي

منح الإله مـواهب الوهاب

وقولها غزلاً:

مشور حسنك في الحشا سطرته
سطر العذار تلوته فوجده

ورقـسيم خطك طالما كررته
يومي لسفك دمي وقد سلمته

وقولها في الخمريات:

لاح الصبوح وبهجة الأوقات
واجلب براحك للقلوب تروّحاً
وانهض فديتك فالزمان مراقبي
ودع الوشاة وماتقول عواذلي
دعني ومالي في الفؤاد بحبها
لاغرو أن كان الرشيق يديرها
فأنا الأسير بظل روض كرومها
وأنا الشهيد بحب ذوق عصيرها
جهل العواذل ماتريد بشربها
تسليني عن جفوة أم صبوة
شتان بين ظنونهم وسرائري
كم باتت الاحداق يسقي طلّها
يا عاذلي كف الملام فلإنني

فاشرب وعاطي الصب بالكاسات
فالراح تبـدع نشأة اللذات
فالخط لي في كل يوم آتي
فالعين عيني والصفات صفاتي
لما صبا بشقائق الوجينات
في معهد الغزلان والبنات
ولو ان في عتقي هنيّ حياتي
إن كان في حب الكؤوس مماتي
نفسي وماتلقى من السكرات
لفؤادي المضني من الحسرات
والله يعلم منتـهى غاياتي
روض الجوى وحدائق اللوعات
صب بدت بين الورى آياتي

قل ماتشاء فإن قولك مطربي
إن شئت لمني أو فهددّ وانتبه
لعبت بي الأشجان حتى إنني
ورسايي الشوق الخؤون لمعهد

وقالت ترثي ابتها:

ان سال من غرب العيون بحور
فلكل عين حق مدار الدما
سُتِرَ السنا وتحجبت شمس الضحى
ومضى الذي أهوى وجرعني الأسى
ياليته لما نوى عهد النوى
ناهيك ما فعلت بماء حشاشتي
لو بُثَّ حزني في الورى لم يلتفت
طافت بشهر الصوم كاسات الردى
فتناولت منها ابنتي فتغيرت
فذوت أزهير الحياة بروضها
لبست ثياب السقم في حفر وقد
جاء الطبيب ضحى وبشر بالشفاء
وصف التجرع وهو يزعم أنه
فتنفسست للحزن قائلة له
وارحم شبابي إن والدتي غدت

وحديث من أهوى دوا علاّتي
فأليم لومك في الهوى لذاتي
لم أدر من أهوى ومن هو ذاتي
أهو العُلا أم غرفة الجنات

فالدهر باغ والزمان غدور
ولكل قلب لوعة وثبور
وتنقبت بعد الشريف بدور
وغدت بقلبي جذوة وسعير
وافى العيون من الظلام نذير
نار لها بين الضلوع زفير
لمصاب قيس والمصاب كثير
سحراً وأكواب الدموع تدور
جنات خدشاتها التغير
والقد منها مائس ونضير
ذاقت شراب الموت وهو مرير
إن الطبيب بطبه مغرور
بالبرء من كل السقام بشير
عجل يبرئني حيث أنت خبير
ثكلى يشير لها الجوى وتشير

وارأف بها قد حرمت طيب الكرى
لما رأت يأس الطبيب وعجزه
أماء قد كل الطبيب وفاتني
لو جاء عراف اليمامة يستغي
ياروع روحي حلها نزع الضنى
أماء قد عز اللقاء وفي غد
وسينتهي المسعى إلى اللحد الذي
قولي لرب اللحد رفقا بابنتي
وتجلدي بازاء لحدي برهة
أماء قد سلفت لنا أمنية
كانت كأحلام مضت وتخلفت
عودي إلى ربيع خلا ومآثر
صوني جهاز العرس تذكارا فلي
جرت مصائب فرقتي لك بعد إذ
والقبر صار بغصن قدي روضة
أماء لا تنسي بحق نبوتني
ورجاء عفو أو تلاوة منزل
فلعلما أحظى برحمة خالق
فأجبتها والدمع يحبس منطقي
بتاه ياكبدي ولوعة مهجتي
لاتوصي ثكلى قد أذاب فؤادها
قسما بغض نواظر وتلهفني

تشكو السهاد وفي الجفون فتور
قالت ودمع المقلتين غزير
مما أو مل في الحياة نصير
برئي لرد الطرف وهو حسير
عما قليل ورقها ستطير
سترين نعشي كالعروس يسير
هو منزلي وله الجموع تصير
جاءت عروسا ساقها التقدير
فتراك روح راعها المقدور
ياحسنها لو ساقها التيسير
مذبان يوم البين وهو عسير
قد خلقت عني لها تأثير
قد كان منه إلى الزفاف سرور
لبس السواد ونفذ المسطور
ريحانها عند المزار زهور
قبري لنلا يحزن المقبر
فنسواك من لي بالحنين يزور؟
هو راحم برؤنا وغفور
والدهر من بعد الجوار يجور
قد زال صفو شأنه التكدير
حزن عليك وحسرة وزفير
مذ غاب إنسان وفارق نور

وبقبلتي ثغراً تقضي نحببه
والله لأسلو التلاوة والدعا
كلا ولا أنسى زفير توجعي
إنني ألفت الحزن حتى إنني
قد كنت لا أرضى التباعد برهة
أبكيك حتى نلتقي في جنة
إن قيل عائشة أقول لقد فني
ولهي على توحيد الحسن التي
قلبي وجفني واللسان وخالقي
متعت بالرضوان في خلد الرضا
وسمعت قول الحق للقوم ادخلوا
هذا النعيم به الأحبة تلتقي
ولك الهناء فصدق تاريخي بدا

وقولها غزلاً:

ملك الفؤاد وقد هجر
عذب الرضاب مهفهف
ما حيلتي في حبه
من منجدي وجفونه
واحيرتي في حبه
أشكو الغرام ويشتكى

فحرمت طيب شذاه وهو عطير
ما غرّدت فوق الفصون طيور
والقد منك لدى الثرى مدثور
لو غاب عني ساءني التأخير
كيف التصبر والبعد دهور
برياض خلد زينتها الحور
عيشي وصبري والإله خبير
قد غاب بدر جمالها المستور
راض وبك شاكر وغفور
ما زينت لك غرفة وقصور
دار السلام فسعيكم مشكور
لا عيش إلا عيشه المبرور
توحيد زفت ومعها الحور

بدر المحاسن منذ ظهر
يسبى المتيم بالخور
إلا الخضوع لما أمر
منهـا المحب على خطر
وأطول شجوي بالخفر
جفن تعذب بالسهر

يا قلب حَسْبكَ ما جرى
رام الحبيب لك الضنى
لكن تعذيب الهوى
قابلتَه مستثنيا
وأيتَه متبسّماً
يا بدر حَكِّمك الهوى
ألق الوشاح واخلني
وعن العذار فلا تسل
ودع الظلام على الضياء
سامت بها الثغر الذي
واصدع بحسبك وافتخر
فالشمس تخجل عندما

أخرقت جسمي بالشرر
لم ذا وأنت له مُقَرَّر
ماللشجيم منه مفر
ناهيك من غصن خطر
كالبدر لما أن سافر
فاحكم ونقّذ ما أُمِر
أصلى سعيراً في سقر
ولأنت أولى من عذر
واستتر بطرتك الغرر
يفتتر عن غالي الدرر
تیهاب جيلك والطرر
تبدو ويستحيي القمر

وقولها غزلاً أيضاً:

ملك الفؤاد وقدر شى
عذب الرضاب مهفهف
ما حيلتي في حبه

بدر تكنّى بالرشا
يسبى الشجى إذا مشى
إلا سعير في الحشا

فاطمة أسعد الخليل

هي بنت الأمير أسعد الخليل ، أحد أمراء الشيعة القاطنين في جبل عامل من أعمال سورية . وهو من كبراء (عائلة علي صغير) . ولدت سنة ١٢٥٦ من الهجرة وتوفي والدها وهي صغيرة جداً فتولى تربيتها شقيقها الأمير محمد بيك الأسعد ، فلما بلغت سن التعليم سلمها للمعلمين لتدرس العلوم ، فتلقت جملة علوم في أقرب وقت . وكانت ذات عقل وفطنة ونباهة وكياسة ، فحفظت القرآن الشريف ودرست التفاسير الجمة ، وأخذت الدروس الفقهية على أشهر العلماء الشيعة ، ودرست النحو والصرف والبيان حتى فاقت نساء عصرها وأهل جلدتها ، فذاع صيتها في الآفاق . ولما بلغت الثامنة عشرة من سنها تقدم إليها الأمير علي بيك الأسعد بالخطوبة فأنعم له شقيقها بها .

وكان الأمير المذكور حاكماً على بلاد بشارة ، ومحل اقامته قلعة تبنين التي هي قاعدة بلاد بشارة . وتلك القلعة بناها هيوسنت أمير صاحب طبرية سنة ١١٠٧ ، وجعلها معقلاً لغزو صور وما يليها . وهي على مرتفع صعب المرتقى في وسط بقعة خصبة وعامرة بين الجبال تكثر فيها الكروم والثمار والغابات ، ويسمونها الإفرنج طورون . وكانت حصناً منيعاً مهماً ، وسمي بها عائلة أصحابها . سنة ١٥٥١ أقيم هونفردي صاحب تبنين عاملاً للملك بلدوين الثالث وقد فتح هذه البلاد صلاح الدين الأيوبي سنة ١١٨٧ الموافقة لسنة ٥٨٣ هجرية ، وذلك أنه قد سير إليها ابن أخيه تقي الدين ففتحها وأخرج الإفرنج منها . سنة ٥٩٤ كانت تبنين بيد الملك العادل بن صلاح الدين فرحل إليها الإفرنج وحاصروها ، وقاتلوا من بها وجدوا في القتال

ونقبوا الحصن من جهاتهم ، فلما رأى من بالقلعة ذلك خافوا على أنفسهم وأموالهم فنزل بعضهم يطلب الأمان على أنفسهم وأموالهم ليستلموا القلعة . فقال لهم بعض الأفرنج : إن سلمتموها استأسركم صاحب الجيش وقتلكم ، فعادوا وأصروا على الامتناع وقاتلوا قتال من يحمي نفسه . وكان الملك العادل قد كاتب أخاه الملك العزيز بمصر ، فسار مجدداً حتى وصل الى عسقلان . فلما علم الأفرنج ذلك وأن ليس لهم ملك أرسلوا إلى ملك قبرص وزوجوه ملكتهم . وكان هذا محباً للسلم فكف عن حصار تبين ، ثم اصطلحوا مع الملك العادل . وتعاقبت الملوك والأمراء على تملك تلك القلعة مدة مديدة ، حتى تملكها أمراء بيت علي صغير المذكورين الذين منهم الأمير علي بيك الأسعد . وكانت السيدة فاطمة من تلك العائلة ، وانهم كانوا في ذاك الوقت يحافظون على نسبهم الشريف من أن يخلطوا به نسباً آخر من عامة الناس ، ولا يزوجون إلا لبعضهم البعض . وكان الأمير علي بيك الأسعد إذ ذاك كبير تلك العائلة مقاماً ورفعة ، وهو الحاكم الوحيد على بلاد بشارة من قبل الدولة العلية . وكان مشهوراً بالكرم وحسن السياسة ، ومتصفاً بالعدل في أحكامه . ولما زفت إليه السيدة فاطمة نقلها من (الطيبة) التي هي بلد والدها ومسقط رأسها ومنبت صباها ومهد طفولتها إلى تبين . فشق ذلك على شقيقها محمد بيك الأسعد وعلى أهلها وأهل بلدتها ، لأنها كانت محسنة إلى الفقير من أهل البلد ، ومعينة للمسكين وعائدة للمريض . وكان يحبها كل من في تلك البلدة ، وكان شقيقها يعتمد عليها في بعض الآراء الادارية وغيرها على صغر سنها .

ولما نقلت إلى تبين نالت بحسن آدابها وكمال عقلها ورقة لطفها ونضارة جمالها حظوة عظيمة عند زوجها ، حتى ملكت زمام الأمور فضلاً عن تملكها فؤاد زوجها . وتقلدت إدارة الأشغال المنزلية وفازت على كل نسائه وأهل ذاك النادي . فلما رأى منها علي بيك ذلك الحزم والعزم الذي يفوق حزم أعظم الرجال أحب مشاركتها في الأحكام ، واعتمد على آرائها السديدة ، فتعاطمت الأحكام مع زوجها

وشاركته بالرأي ، وحكمت وعدلت في حكمها بين الناس حتى أحبها الكبير والصغير والغني والفقير . ولم يغيرها في مركزها الحقيقي ما صارت إليه من الدولة والسلطة عن حبها لفعل الخير والاحسان الى الفقراء كما كانت تفعل في بيت أبيها ، بل جعلت في دارها محلاً مخصوصاً لتربية الأولاد اليتامى وأولاد السبيل ، وشهرت بفعل الخير ، وقصدها المضطرون ولجأ اليها الخائفون . وكل ذلك لم يذل لها حجاب ، بل كانت تتعاطى الأحكام من وراء الحجاب . وتنظر في الدعاوى داخل الحجاب وكان كل من في ديوان الأمير علي بيك يعجبون بأرائها وسمو أفكارها لدقائق من الأمور الغامضة من الأحكام الشرعية . ولم تزل كذلك الى سنة ١٢٨١ هـ ، وكان البيك المومى إليه قد تأخر عليه شيء من الأموال الأميرية لأن كرمه الحائمي كان يضطره الى ذلك حيث إنه كان في دولة عظيمة . وكان إذا ركب يركب معه فوق المني فارس من حشمه وذلك خلاف الخدم والسياس والعمال والطباخين والفراشين وما يتبع دائرة الحرم من وكلاء وخدم وطباخين وغير ذلك . وكان في قلعة تبين محل للضيوف يسع ألفي شخص وفيه من المفروشات والأثاث ما يليق بذلك القصر الفاخر ، كل غرفة بما يلزم لها لراحة الضيوف ، وله فراشون مختصون لخدمة الضيوف فقط والطباخون ، كذلك غير الذين يخدمون المقيمين من العائلة ، وكل هؤلاء الاتباع لهم الرواتب من دائرة الأمير المومى إليه . وكانت تأتي الشعراء والطلابون من كل صوب ، وهو لا يرد أحداً بدون جائزة وتغد إليه الزائرون من كل المدن الشهيرة من كبار الموظفين وغيرهم ، يمضون عنده فصل الصيف في القلعة لحسن هوائها وطيب مركزها وخصب تربة تلك الأراضي والجبال النضرة .

وقد كان له حساد وأعداء من أقرب الناس إليه قد أضمروا له الضغينة وألقوا الدسائس حسداً منهم لما ناله من المجد والرفعة ، وعملوا على إلقاء القبض عليه ومحاسبته على الأموال الأميرية . فحوسب في مدة ثمانية شهور وهو تحت الحجز ، وظهر طرفه مبالغ جسيمة . فقامت السيدة فاطمة في أثناء ذلك بأعباء هذا الحمل

الثقيل وتدبرت الأموال المطلوبة من بعليها ، وقد جمعتها من مالها وأموال عائلتها ، وباعت حليها وحلي كل امرأة في دائرتها ، حتى تمكنت من سداد تلك الأموال المطلوبة . وكانت تفعل ذلك بكل حزم يفوق شهامة الرجال . وصدر الأمر بخلاصه في أواخر سنة ١٢٨١ هـ . وبعد ذلك أراد الرجوع إلى وطنه من محل ما كان محجوراً عليه ، وهي قلعة دمشق الشام ، فدخلت سنة ١٢٨٢ هـ التي جاء فيها الوباء العام المشهور (بالكوليرة) . وهناك قبل انتقاله إلى وطنه أصيب بالكوليرة بدمشق الشام ، ومكث ثلاثة أيام وتوفاه الله تعالى . وكان برفقته أخوها الأمير محمد بيك الأسعد ، فأصيب الأمير أيضاً بهذا الداء ولحق بابن عمه . وكانت وفاتهما في أسبوع واحد تاركين لآلهما الحزن الطويل . فكانت نكبة عظيمة على السيدة فاطمة المذكورة ، ونكبت تلك العائلة أيضاً بوفاة أميرها . فلازمت المترجمة الأحزان والأكدار بسبب فقد بطليلها الزوج والأخ في آن واحد . وانقطعت إلى (الزيرية) ، وهي مزرعة من مزارع زوجها . فاقسمت ما يخصها ويخص بناتها الثلاث لأنها كانت ولدت له جملة أولاد من ذكور وإناث ، فلم يعيش لها إلا هؤلاء الثلاث بنات . وكان للأمير علي بيك أولاد من غيرها ذكور وإناث أيضاً ، فضمتهن جميعاً بحسن إدارتها إلى بعضهم ، وقسمت عليهم الأرض بحسب الفريضة الشرعية بدون أن تجعل للحكومة مدخلاً في ذلك . وشرعت في بناء دار لكل من أولادها وأولاد زوجها للسكنى . وأرضت الكل بحسن تدبيرها وسداد رأيها ، وأتمت ذلك البناء على ما أحب الأولاد .

وخصصت من مالها شيئاً مخصوصاً لتربية اليتامى ، وفك كرب المكروب . وقسمت وقتها بين سكنائها (بالزيرية) و(الطيبة) عند شقيقها الأصغر الأمير خليل بيك الأسعد . ولم تزل حفظها الله على هذه السجايا الحسنة ، وإلى الآن يضرب بها المثل في تلك الأصقاع .

ولها في الشعر شيء قليل . وأما في النثر فيشهد لها اليراع وتنطق لها الطروس .

مريم نحاس نوفل

هي ابنة جبرائيل نصر الله نحاس ، ولدت في بيروت في ٦ كانون الثاني سنة ١٨٥٦ (يناير) ، وتهدبت في المدارس الإنكليزية السورية مدة ثمان سنوات بين خارجية وداخلية ، فتعلمت اللغتين العربية والإنكليزية ، مع التاريخ والجغرافيا والحساب والبيانو وجميع أشغال الإبرة واليد . وفي ١٤ تشرين الثاني (نوفمبر) سنة ١٨٧٢ اقترنت بنسيم أفندي نوفل في المركز الصيفي في جبل لبنان ، إذ كان والدها وقرينها المذكور من متوظفي الحكومة اللبنانية .

وفي خلال سنة ١٨٧٣ شرعت بتأليف كتاب عام لإحياء ذكر بنات جنسها اللطيف ، وسمته بكتاب «معرض الحساء في تراجم مشاهير النساء» . وهو يتضمن تراجم شهيرات النساء من الأموات والأحياء مرتباً على نسق القواميس الأفرنجية . وقد أعلنت في أكثر الجرائد عن هذا المشروع المبتكر ، وصرفت باقي عزميتها على الاشتغال به باذلة في سبيله كل ماأحرزته من الحلبي والمجوهرات ، حتى لايقال إن للرجال العلم والأدب ، وللنساء الجمال والذهب .

وريثما أصبح القسم الأول منه على وشك النهاية رفعته إلى من اشتهرت بين بنات جنسها مؤسسة المدرسة السيوفية في مصر القاهرة التي كان فيها نحو الثلثمئة تلميذة يقتذين من ألبان معارفها وآدابها ، حضرة الأميرة جشم آفت هانم أفندي ، ثالث حرم سمو إسماعيل باشا الخديوي السابق . فأفاضت عليها من نعم القبول ماحمل مقدمته إلى نشر جميل الشكر والامتنان في جريدة «الأهرام» الغراء ، ذاكرة ماوعدت به الأميرة من المكارم والاحسان .

وفي حزيران (يوليو) سنة ١٨٧٩ طبع بأمر دولتها مثال للكتاب يتضمن المقدمة وترجمة حياة الأميرة المشار إليها ، وتراجم بعض النساء الشهيرات . وقد وزع في كثير من البلدان العربية . غير أن سَفَر الجنب الخديوي السابق مع آل بيته الكرام إلى نابولي في تلك السنة أوقف السعي بإتمام القسم الثاني من تراجم الأحياء . ومن ثم فإن الحوادث الغريبة التي أضاعت قسماً من المعدات والصور التي حضرت لتزيين الكتاب اضطرت المؤلفة أن تصبر على مفضض الأيام ، وفي صدرها حزازات من حكم الزمان ومن كساد بضائع الآداب في البلاد الشرقية .

وهذه الأسباب والمسببات التي قضت بتأخير هذا الكتاب إلى حين من الزمن ما برحت تتردد مع الأيام في فكر المؤلفة حتى توفاه الله في صباح يوم الاثنين من شهر (أبريل) نيسان سنة ١٨٨٨ بعد أن أوصت قرينها بإتمام مشروعها الذي قضت بين محابره ودفاتره مدة العمر .

وقد رثاها حضرة الشاعر الأديب إلياس أفندي نوفل بقصيدة رنانة . فمن جملة ما قال فيها عن وصف الفقيدة :

كانت لها التقوى كأبهى حلة	وصنيع أيديها أجل خضابها
وجمال عنوان أسر جمالها	وبياض باطنها كلون ثيابها
وردت سماحة وجهها عن قلبها	ويدت معارفها بطي كتابها

خولة بنت الأزور

وهي أخت ضرار بن الأزور، كانت مشهورة بالشجاعة والجمال. خرجت مع أخيها إلى الشام حين فتحها في خلافة أبي بكر الصديق. وكانت تفوق الرجال بالفروسية والبسالة، ولها وقائع مشهورة لا يسعها المقام إذا أحببنا إيرادها، ولكننا نقتصر على البعض منها.

قال الواقدي في «فتوح الشام»: إنه لما أسر ضرار بن الأزور في وقعة أجنادين توجه خالد بن الوليد بطليعة من الجيش لخلاصه، فبينما هو في الطريق إذ مر به فارس على فرس طويل ويده رمح، وهو لا يبين منه إلا الحدق، وقد سبق أمامه الناس كأنه نار. فلما نظره خالد قال: ليت شعري من هذا الفارس؟ وإيم الله إنه لفارس. ثم اتبعه خالد والناس وسار إلى أن أدرك المشركين، وقد حمل على عساكر الروم كأنه النار المحرقة، فزعزع كتائبهم وحطم مواكبهم، فما كانت إلا جولة جائل حتى خرج وسانه ملطخ بالدماء وقد قتل رجالاً وجندل أبطالاً، وقد عرض نفسه للهلاك ثانية واخترق القوم غير مكترث. وكثر قلق الناس عليه ولا يعلمون من هو، ومنهم رافع ابن عميرة ومن معه ظنوا أنه خالد، وقالوا: ماهذه الحملات إلا لخالد؟ وبينما هم على ذلك إذ أشرف خالد بمن معه، فقال له رافع: من الفارس الذي تقدم أمامك، فلقد بذل نفسه ومهجته. فقال خالد: والله إنني أشد إنكاراً منك، أعجبني ما ظهر منه ومن شمائله. فقال رافع أيها الأمير: انه منغمس في عسكر الروم يطعن يميناً وشمالاً، فقال خالد: معاشر المسلمين احمّلوا بأجمعكم وساعدوا المحامي عن دين الله. فأطلقوا الأعنة وقوموا الأسنة وخالد أمامهم إذ نظر إلى الفارس وقد خرج من القلب كأنه شعلة نار والخيل في أثره. وكلما لحقت به الروم لوى عليهم وجندل. فعند ذلك حمل خالد ومن معه ووصل الفارس المذكور إلى جيش المسلمين فتأملوه

ورأوه، قد تخضب بالدماء . فصاح خالد والمسلمون : لله درك من فارس بذل مهجته في سبيل الله ، وأظهر شجاعته على الأعداء . اكشف لنا عن اسمك وارفع لثامك . فمال عنهم ولم يخاطبهم وانغمس في الروم . فتصايحت الروم من كل جانب وكذلك المسلمون ، وقالوا : أيها الرجل الكريم أميرنا يخاطبك وأنت تعرض عنه؟ أظهر لنا اسمك لنزداد تعظيماً ، فلم يرد عليهم جواباً . فلما بعد عن خالد سار إليه بنفسه وقال : ويحك لقد شغلت قلوب الناس وقلبي بفعلك ، من أنت؟ فلما ألح عليه خالد خاطبه الفارس من تحت لثامه قال : إنني أيها الأمير لم أعرض عنك إلا حياء منك لأنك أمير جليل وأنا من ذوات الخدور وبنات الستور وإنما حملني على ذلك أني محرقة الكبد زائدة الكمد . فقال لها : من أنت؟ قالت : أنا خولة بنت الأزور أخت ضرار المأسور بيد المشركين . وإني كنت مع بنات العرب وقد أتاني الساعي بأنه أسير ، فركبت وفعلت مارأيت . وعند ذلك حمل المسلمون وحملت خولة ، وعظم على الروم ما نزل بهم من خولة بنت الأزور ، وقالوا : إن كان القوم كلهم مثل هذا الفارس فما لنا بهم من طاقة . وأما خولة فإنها جعلت تجول يمينا وشمالاً وهي لا تطلب إلا أخاها ، وهي لا ترى له أثراً ولا وقعت له على خبر ، وجعلت تسأل عنه فلم يجبها أحد ، ولم تر من المسلمين من يخبرها أنه نظره أو رآه أسيراً أو قتيلاً . فلما أيست منه بكت بكاء شديداً ، وجعلت تقول : يا ابن أمي ، ليت شعري في أي البيداء طرحوك ، أم بأي سنان طعنوك ، أم بأي حسام قتلوك؟ يا أخي أختك لك الفداء ، لو أني أراك أنقذتك من أيدي الأعداء . ليت شعري أترى أني أراك بعدها أبداً؟ فقد تركت يا ابن أمي في قلب أختك جمرة لا يخدم لهيبتها ولا يطفأ سعيرها . ليت شعري ألحقت بأبيك المقتول بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم ، فعليك مني السلام إلى يوم اللقاء . فبكى الناس من قولها عند سماعها ونياحها .

ومن وقائعها أيضاً ما ظهر من بسالتها يوم أسر النسوة في وقعة صحورا ، من أعمال الشام ، وقد جمعت النسوة وقامت فيهن خطيبة . وكانت هي من ضمن المأسورات . فقالت : يا بنات حمير وبقية تبع ، أترضين لأنفسكن علوج الروم ،

ويكون أولدكن عبيداً لأهل الشرك؟ فأين شجاعتكن وبراعتكن التي تتحدث بها عنكن أحياء العرب ومحاضر الحضرة؟ وإني أراكن بمعزل عن ذلك، وإني أرى القتل عليكن أهون من هذه الأسباب. وما نزل عليكن من خدمة الروم. فقالت لها عفراء بنت غفار الحميرية: صدقت والله يا بنت الأزور، نحن في الشجاعة كما ذكرت، وفي البراعة كما وصفت، لنا المشاهد العظام والمواقف الجسام. والله اعتدنا ركوب الخيل وهجوم الليل، غير أن السيف يحسن فعله في مثل هذا الوقت. وإنما دهمنا العدو على حين غفلة، وما نحن إلا كالغنم بدون سلاح. فقالت خولة: يا بنات التبابعة، خذوا أعمدة الخيام وأوتاد الأطناب، ونحمل بها على هؤلاء اللثام، فلعل الله ينصرنا عليهم فنستريح من معرة العرب. فقالت عفراء بنت غفار: والله مادعوت إلا ما هو أحب إلينا مما ذكرت. ثم تناولت كل واحدة عموداً من أعمدة الخيام، وصحن صبيحة واحدة. وألقت خولة على عاتقها عموداً، وسعت من ورائها عفراء أم أبان بنت عتبة، ومسلمة بنت زارع، ولبنى، ومزروعة بنت عملوق، وسلمة ابنة النعمان، ومثل هؤلاء. فقالت لهن خولة: لا ينفك بعضكن عن بعض، وكن كالحلقة الدائرة ولا تتفرقن فتملكن فيقع بكن التشيت، واحطمن رماح القوم واكسرن سيوفهم. وهجمت خولة وهجم النساء وراءها قاتلن قتالاً شديداً حتى استخلصت النسوة من أيدي الروم وخرجت وهي تقول:

نحن بنات تبع وحمير	وضربنا في القوم ليس ينكر
لأننا في الحرب نار تسعر	اليوم تسقون العذاب الأكبر

ومن قولها حين أسر ضرار في المرة الثانية في مرج دابق:

ألا مخبر بعد الفراق يخبرنا	فمن ذا الذي يا قوم أشغلكم عنا
فلو كنت أدري أنه آخر اللقاء	لكننا وقفنا للوداع وودعنا
ألا يا غراب الين هل أنت مخبري	فهل بقدم الغائبين تبشرنا

لقد كانت الأيام تزهو لقربهم
ألا قاتل الله النوى ما أمره
ذكرت ليالي الجمع كنا سوية
لئن رجعوا يوماً إلى دار عزهم
ولم أنس إذ قالوا ضرار مقيّد
فما هذه الأيام إلا معارة
أرى القلب لا يختار في الناس غيرهم
سلام على الأحباب في كل ساعة
وكنّا بهم تزهو وكانوا كما كنّا
وأقبحه ماذا يريد النوى منا
ففرّ قناريب الزمان وشتتنا
لثمنا خفافاً للمطايا وقبّلنا
تركناه في دار العدو ويمنا
وما نحن إلا مثل لفظ بلا معنى
إذا ما ذكرهم ذا كر قلبي المضنى
وان بعدوا عنا وان منعوا منا

ثم بكت وقالت : إنا لله وإنا إليه راجعون ، فوالله لأخذنا بشأره إن شاء الله تعالى . ولما زحفت عساكر الإسلام إلى أنطاكية لأجل خلاص ضرار سار معهم النساء اللاتي لهن أسرى ، وفي مقدّمتهن خولة بن الأزور وهي تنشد قولها من المراثي المبكيات :

أبعد أخي تلذّ الغمض عيني
سأبكي ما حيت على شقيق
فلو أني لحقت به قتيلاً
وكنت إلى السلو أرى طريقاً
وإنا معشر من مات منا
وأنى أن يقال مضى ضرار
وقالوا لم بكاك فقلت مهلاً
فكيف ينام مقروح الجفون
أعز على عيني اليمين
لهان عليّ إذ هو غير هون
وأعلق منه بالحبل المتين
فليس يموت موت المستكين
لباكية بمنسجم هتون
أما أبكى وقد قطعوا وتيني

ولما أسر ضرار المرة الثالثة في وقعة دير المسيح من أرض البهنسا، وسار
المسيب ورافع وجماعتهما في طلبه تهللت فرحاً، وأسرعت في لبس سلاحها وأتت
إلى خالد تستأذنه في المسير معهما. فقال لهما خالد: أنتما تعلمان شجاعتهما
وبراعتها فخذاهما معكما. فقالا: السمع والطاعة. ثم ساروا حتى بلغوا منتصف
الطريق وكمنوا قبل مرور القوم، فبينما هم كامنون إذا بالقوم قد أتوا محدقين
بضرار، وهو متألم من كتافه وهو ينشد ويقول:

ألا بلغوا قومي وخولة أنني	أسير رهين موثق اليد بالقيد
فيا قلب مت همّاً وحزناً وحسرة	ويا دمع عيني كن معينا على خدي
فلو أن أقوامي وخولة عندنا	لألزم ما كنا عليه من العهد
ولو أنني فوق المجمل راكباً	وقائم حد العضب قد ملكت يدي
لأذلت جمع الروم إذلال نقمة	وأسقيتهم وسط الوغى أعظم الكد

فنادته خولة من مكمنها: قد أجاب الله دعاءك وقبل تضرعك، أنا خولة ثم
كبرت وحملت بقية العسكر وحملوا حتى خلصوا ضراراً من الأسر. ووقائعها
كثيرة، وقد أبلت بلاء حسناً في فتوح الشام ومصر، وعمرت طويلاً، وكانت
وفاتها في أواخر خلافة عثمان بن عفان. فعلى مثل هذه يأسف الدهر، رحمها الله
رحمة واسعة.

ليلى العامرية بنت مهدي بن سعد

صاحبة قيس بن الملوّح بن مزاحم، الشهير بالمجنون، ولم يكن مجنوناً إلا
من العشق بدليل قوله :

يسمونني المجنون حين يرونني نعم بي من ليلى الغداة جنون

وكان سبب عشقه لها أنه مر على ناقة وعليه حلتان من حلل الملوك بزمرة من
قومه، وعندها نسوة يتحدثن، فأعجبهن فاستترلنه للمنادمة، فنزل وعقر لهن ناقته،
وأقام معهن بياض اليوم. وكانت ليلى مع من حضر، وحين وقعت عينه عليها لم
يصرف عنها طرفاً. وشاغلته فلم يشتغل. فلما نحر الناقة جاءت لتمسك معه
اللحم، فجعل يحز بالمديّة في كفّه وهو شاخص فيها، حتى أعرق كفّه فجذبتها من
يده ولم يدر. ثم قال لها: أأأأأأ الشواء؟ قالت: نعم، فطرح من اللحم شيئاً على
الغضى، وأقبل يحادثها. فقالت له: انظر إلى اللحم هل استوى أم لا؟ فمدّ يده إلى
الجمر وجعل يقلب بها اللحم، فاحترقت ولم يشعر. فلما علمت ما داخله صرفته
عن ذلك، ثم شدت يده بهذب قناعها. ثم ذهب وقد تحكّم عشقها من قلبه. وقد
استدعته بعد هذا المجلس للمحادثة وقد داخلها الحب، فقالت له: هل لك في
محادثة من لا يصرفه عنك صارف؟ قال: ومن لي بذلك؟ فقالت له: اجلس،
فجلس وجعلاً يتحادثان حتى مضى الوقت. ولم يزالا على ذلك حتى حجبتها أبوها
عنه وزوّجها من غيره كما هو مشهور في قصتها.

ومن رقيق شعر ليلى :

لم يكن المجنون في حالة إلا وقد كنت كما كانا

لكنه باح بسر الهوى وإنني قد ذبت كتماننا

وقال له رجل من قومه : إني قاصد حيّ ليلى ، فهل عندك شيء تقوله لها؟

قال : نعم أنشدتها إذا وقفت بحيث تسمعك هذه الأبيات :

الله أعلم أن النفس قد هلكت باليأس منك ولكني أمنيها

منيّتك النفس حتى قد أضربها وأبصرت خلفاً مما أمنيها

وساعة منك ألهاها ولو قصرت أشهى إليّ من الدنيا وما فيها

قال الرجل : فمضيت حتى وقفت بخيامها ، فلما أمكنتني الفرصة أنشدت

بحيث تسمع الأبيات ، فبكت حتى غشى عليها ، ثم قالت : أبلغه عني السلام ، وأنشدت :

نفسي فداؤك لو نفسي ملكت إذا ما كان غيرك يجزيها ويرضيها

صبراً على ما قضاه الله فيك على مرارة في اصطباري عنك أخفيها

وقال رباح بن عامر : دخلت من نجد أريد الشام ، فأصابني مطر عظيم ،

فقصدت خيمة رفعت لي ، فإذا بامرأة فسألتها التظليل ، فأشارت إلى ناحية

فدخلت . ثم قالت للعبيد : سلوه من أين الرجل فقلت : من نجد ، فتنفست

الصعداء . ثم قالت : نزلت بمن فيها؟ قلت : بيني الحريش ، فرفعت ستارة كانت بيننا

وإذا بامرأة كأنها القمر . ثم قالت : أتعرف رجلاً فيهم يقال له قيس ويلقب

بالمجنون؟ قلت : إي والله سرت مع أبيه حتى أوقفني عليه وهو مع الوحش لا يعقل

إلا أن ذكرت له ليلى . فبكت حتى أغمى عليها ، فقلت : مم تبكين ولم أقل إلا خيراً؟

فقالت : أنا والله ليلى المشؤومة عليه غير المساعدة له . ثم أنشدت :

ألا ليت شعري والخطوب كثيرة متى رَحَلُ قيس مستقلٌ فراجع
بنفسي من لا يستقلُّ برحله ومن هو إن لم يحفظ الله ضائع

وكان آخر مجلس للمجنون من ليلى أنه لما اختلط عقله وتوحش جاءت أمه
إليها فاخبرتها وسألتها أن تزوره فعساها أن تخفف ما به ، فقالت : أما نهراً فلا ،
خيفة من أهلي ، وساتيه ليلاً . فلما جن الليل جاءت فسلمت عليه ثم قالت :

أخبرت أنك من أجلي جنت وقد فارقت أهلك لم تعقل ولم تفق
فرغ رأسه إليها وأنشد :

قالت : جنت على رأسي فقلت لها : الحب أعظم مما بالمجانين
الحب ليس يفيق الدهر صاحبه وإنما يصرع المجنون في الحين
لو تعلمين إذا ما غبت ما سقمي وكيف تسهر عيني لم تلوميني
وقد امتحنته يوماً لتنظر ما عنده من المحبة لها ، فدعت شخصاً بحضرته
فسارته ، ثم نظرتة قد تغير حتى كاد ينفطر ، فأنشدت :

كلانا مظهر للناس بغضاً وكلُّ عند صاحبه مكين
تبلغنا العيون بما أردنا وفي القلبين ثم هوى دفين
وأسرار اللواظ ليس تخفي وقد تغريذي الخطأ الظنون
وكيف يفوت هذا الناس شيء وما في الناس تظهره العيون

فسر بذلك حتى كاد أن يذهب عقله ، فانصرف وهو يقول :

أظن هواها تاركي بمضلة من الأرض لا مالٌ لدي ولا أهلُ
ولا أحد أفضي إليه وصيَّتي ولا صاحب إلا المطيَّة والرحل
محا حبُّها خبَّ الألى كن قبلها وحلَّت مكاناً لم يكن حلَّ من قبل

زينب ملكة تدمر

كانت آية زمانها في الجمال ، ونادرة عصرها في الفضل المقرون بالجلال .
تعرف عند الرومان (بزنوبيا) ملكة الشرق . تولت عرش تدمر بعد زوجها أذينة
المقتول عام ٢٦٧ للميلاد . وكان اشتد ساعدها ورسخت في البلاد وطأتها . شيدت
في عاصمتها البناءات الباهية الأنيقة ، وغرست في ضواحيها الرياض الزاهية ، حتى
تركبتها جنة من الجنان ، فيها فاكهة والنخل ذات الأكمام ، والحب ذو العصف
والريحان . ثم جنحت إلى المغازي والفتوحات ، فدانت لشدة بأسها العباد ، وفتنت
ببديع حسننها وسحر أساليبها الملوك ، فاسكرها الفوز والنصر ، وبعثها على التماذي
في طلاب العز والتماس الفخر . فبعثت بالسرايا والصوائف إلى مصر ، فقهرتها
ولقبت ذاتها باللقاب أهاجت عليها حسد مملكة الرومان فناوأتها . وزحف عليها
أورليان قيصر الروم ، فعبأت الجيوش وقابلته على مقربة من أنطاكية فحمص ،
فهزمها شر هزيمة ، حتى اعتصمت منه بقاعدة بلادها تدمر . فأدار عليها رحي
الحرب حصاراً وقتالاً حتى تداعت له أسوارها عنوة . فاعمل في أهلها السيف وفي
قصورها التخريب حتى غادرها قاعاً صفصفاً ، يأوي إليها البوم والقطا نادبة سالف
مجدها المذكور وقديم عزها المأثور . وأما زنوبيا فأسرها أورليان وقادها إلى عاصمة
الرومان ذليلة صاغرة ، حيثما دخلها بموكب حافل وهي ترسف بقيودها الذهبية أمام

العواجل . وكان ذلك عام ٢٧٢ للميلاد، فسبحان الحي الباقي ، من لا عاصم من يديه ولا واقى .

وأما تدمر فهي مدينة قديمة ذات آثار عظيمة ، كانت تعرف بمدينة النخل . ويسمها الاقدمون بالميري ، واقعة بين نهري الفرات والعاصمة ، تبعد بنحو ٩٠ ميلاً عن حمص إلى الشرق ، و ١٥٠ ميلاً عن دمشق إلى الشمال الشرقي . قيل إنها سميت باسم تدمر بنت حسان التي بنت المدينة في أيامها . والصحيح أنها من بناء سليمان كما ورد في التوراة . وقد زعم العرب أن الجن بنوها له ، وعلى ذلك يقول النابغة :

إلا سليمان إذ قال الإله له قم في البرية فاحددها عن الفند
وخبّر الجن أنني قد أمرتهم يبنون تدمر بالصفاح والعمد

ولم تنل تدمر عزاً مثل ما نالته في مدة زنوبيا . ولم يرجع إليها رونقها الأصلي أبداً ، حتى صارت خرائب في هذا الزمان يأوي إليها البوم والغربان .

الباب الخامس

شهادات عن زينب فواز

- ١ - فوزية فواز
- ٢ - د. بشينة شعبان
- ٣ - إميلى نصر الله
- ٤ - محمد كاظم مكي

«يتردد اسمها على أقلام مؤرخي الأدب ونقادها، وقد يستشهدون ببعض المقاطع من كتبها، فإن راح أحدنا يسأل عن المصادر التي استقيت منها الشواهد، أصيب بخيبة أمل. وذلك لأن آثارها غير متوفرة، حتى في المكتبات الجامعية الكبرى، أو في المكتبات الوطنية العامة المشهورة والتي تعنى عادة بالتراث، ناهيك عن المكتبات ودور النشر العادية. ونتيجة لذلك فإن كل ما كتب عنها يبقى ناقصاً، لأن النتاج الزينبي غير موجود بين أيدي القراء، إلا في الصورة الناقصة وغير الكاملة التي أشرنا إليها.

ومن هنا تأتي أهمية الدور الذي قام به ولا يزال، المجلس الثقافي للبنان الجنوبي وأمينه العام الباحث الأستاذ حبيب صادق، وهو المحافظة على التراث العاملي، والعمل على كشف كنوزه، ونشر أهم آثاره من المخطوطات القيمة، والعناية بنتاج أبنائه الثقافي.

وانطلاقاً من القاعدة الذهبية التي التزم بها المجلس الثقافي للبنان الجنوبي، في جمع التراث الجنوبي وتوثيقه. كانت خطوته الأولى في إعادة نشر ما توافر لديه من آثار هذه الأدبية العاملية، فكان أول هيئة ثقافية في لبنان والعالم العربي، تقوم بمبادرتها إلى إمطة اللثام عن هذه الرائدة الجنوبية، فقد تم تحقيق أثرين أدبيين في مؤلف واحد، وهما رواية «حسن العواقب أو غادة الزهراء»، ومسرحية شعرية بعنوان «الهوى والوفاء». على أمل أن نتابع هذه المسيرة في المستقبل القريب، فنعيد نشر أثرين آخرين لها، هما «الدر المنثور في طبقات ربات الخدور»، والجزء الأول -وهو الجزء الذي توفر لدينا- من «رسائلها الزينية»، لعلنا نوفق في نفض غبار النسيان عن آثار هذه الأدبية العربية الرائدة، والدفاع عن حقها في احتلال مكانتها الجديرة بها. لعلها تجد من التكريم ما يليق بها، كما يكرم سواها من عاصرها، إذ إن

من الباعث على الغبطة حقاً، أن تقوم مصر مؤخراً بتكريم أحد أدبائها -قاسم أمين- بمناسبة مرور مائة عام على صدور كتابه «تحرير المرأة» ولكن من المؤسف أن تهمل في الوقت نفسه، أدبية لمعت في سمائها، ونشرت معظم مقالاتها في مختلف المجلات والصحف المصرية، وطبعت نتاجها في ربوعها، ونالت شهرتها الواسعة في محيطها، تاركة فيها ما تبقى من آثارها مدفوناً هنا أو هناك في غياهب النسيان، وتحت غبار الغبن والإهمال.

الكاتبة فوزية فواز

عضو الهيئة الإدارية للمجلس الثقافي للبنان الجنوبي

محققة رواية «حسن العواقب» ومسرحية «الهوى والوفاء»

«رغم أربعة عشر قرناً من الكتابات النسائية فإن أبحاثاً قليلة جداً قد وضعت حول هذه الكتابات من قبل النساء والرجال، وقامت بالمحاولة الأولى لتعريف هذا التراث النسائي كاتبة تحررية لبنانية في القرن التاسع عشر، وهي زينب فواز (١٨٤٦-١٩١٤) حيث يوثق عملها: «الدر المنثور في طبقات ربات الخدور» إنجازات أربعمائة وست وخمسين امرأة من الشرق والغرب، ويركز كتابها الثاني: «الرسائل الزينية» على حقوق النساء في الثقافة والعمل والمواطنة بكل أبعادها السياسية والاجتماعية والمهنية، كما كتبت مسرحية عنوانها: «الهوى والوفاء»، وأربع روايات طبعت منها روايتان ومازالت روايتان مخطوطتين.

وهي أول شخص عربي يكتب الرواية، مع أن المدارس في جميع البلدان العربية تعلم التلاميذ أن رواية «زينب» عام ١٩١٤م، لحسين هيكل هي أول رواية في الأدب العربي. وقد نشرت رواية زينب فواز «حسن العواقب أو غادة الزهراء» عام ١٨٩٩م، أي قبل نشر رواية «زينب» بخمسة عشر عاماً. وبالإضافة إلى ذلك كانت فواز أول كاتبة عربية معاصرة عبرت عن نزعة نسائية تحررية عميقة وهادفة في حياتها الشخصية وكتاباتهما، وكانت مطلعة ودارسة للأدب والعلوم والفنون. وأصرت على أن النساء جديرات على الأقل بالمساواة الاجتماعية والسياسية والتكافؤ الحقيقي للفرص. واللافت للنظر أنها كانت متقدمة جداً على الحوارات التحررية الدائرة في الغرب والشرق في تلك الفترة. كما كانت المرأة العربية الأولى التي اعتبرت نضالها التحرري جزءاً ليس فقط من نضال المرأة العربية وإنما من نضال النساء في العالم من أجل المساواة والحرية.

أعطت أمثلة من نساء حكمن الرجال وأدرن الدول وقررن وضع القانون والتصرف وحشدن الجيوش وذهبن للمعركة وخضن الحروب».

١٠٠ عام من الرواية النسائية العربية

د. بثينة شعبان

«تتميز زينب فواز عن سواها من رائدات النهضة الفكرية النسائية في لبنان والعالم العربي، بأنها مهدت لنفسها السبيل، ثم اجتازته وحدها.

من أرض الجنوب الخيرة طلعت مثل زهرة برية، حاملة كل ما تنطوي عليه أزهار البراري من تآلق وحيوية.

وكنت خلال بحثي عن ملامح شخصيتها، أتساءل كيف بلغت تلك المرأة ما بلغت من وعي ونضج فكري، وهي القادمة من خلفية الفقر واليتم!

لكن الفقر الذي وصفه غاندي بقوله: (أنه أسوأ أنواع العنف). لم يستطع أن يغلب نفساً تائقة إلى الحرية، وطامحة إلى المعرفة، بل يكاد خط القدر يبرز جلياً بين سطور حكايتها، وإلا كيف يمكننا أن نفسر المحطات التي انتقلت بينها، ووجدت عند كل منها، يداً تسندها، ثم تدفعها إلى الأمام، وإلى يد أخرى ترعاها، وتعنى بها، وكأنها تلقت وحيّاً خاصاً لتخدم هذه الفتاة الواعدة.

الأديبة اللبنانية

إميلي نصر الله

زينب من الرائدات الأوليات لتحرير المرأة، تعتبر مع عائشة التيمورية وجه النهضة النسائية في ختام القرن التاسع عشر . وهي استعداد عاملي توفرت له أسباب الفكر الحديث، فانطلقت مع النهضة خالصة من صور الماضي، تكتب وتؤلف كأبرز أعلام النهضة، ملتزمة في أدبها إصلاح مجتمعها فكان نتاجها في مجمله وعظم الطابع، شأن الكثير من مفكري عصرها. والحركات النسائية الناهضة اليوم تقطف ثمار نشاط زينب فواز ومثيلاتها.

محمد كاظم مكي

أديب عاملي

الباب السادس

صفحات من سيرة رائدات عربيات عاصرن زينب فواز
ودورهن في حركة تحرير المرأة والحركة الأدبية

١ - ماريانا مراش

٢ - ليبة ماضي هاشم

٣ - ملك حفني ناصف

٤ - نازك العابد

٥ - ماري عجمي

ماريانا مراش

١٨٤٨ - ١٩١٩

أول امرأة سورية تكتب في الصحافة، ولدت في مدينة حلب عام ١٨٤٨ م في بيت يعنى بالفكر والأدب والقضايا الوطنية، تلقت قسماً من دراستها بالمدرسة الإنجيلية في بيروت ثم عادت إلى حلب، وتابعت تحصيلها العلمي بعد ذلك في أوروبا، وبعد عودتها إلى وطنها اهتمت بكتابة المقالات الأدبية والاجتماعية ونظم القصائد.

كتبت ماريانا في مجلة «الجنان» التي يصدرها المعلم بطرس البستاني، فلاقت تشجيعاً كبيراً منه، وكان هذا طبيعياً فهو أول من دعا إلى تعليم المرأة. وكذلك فعل خليل سركيس في جريدته «لسان الحال»، فشجع الفتاة ماريانا على مواصلة كتاباتها ودعوتها لتعليم الفتيات وتنويرهن وتشجيعهن.

سبقت ماريانا عصرها في جعل بيتها ندوة أدبية للمثقفين والأدباء، ويبدو أن أكثر الأدبيات بعدها قد سرن على غرارها.

كان يحضر هذه الندوة نخبة معروفة من أدباء وشعراء حلب المعروفين في حينه من نساء ورجال، يترددون على صالونها ليتناقشوا في مواضيع ثقافية وأدبية وفكرية متنوعة. بينما كانت ماريانا التي تجيد العزف بصورة جيدة على البيانو تتحف الحاضرين بمقطوعات موسيقية من عزفها وأنغامها الجميلة. إن ظهور امرأة شابة تكتب في الصحافة وتنظم الشعر وتعزف الموسيقى وتفتح صالوناً أدبياً، كان الوحيد من نوعه في الشرق في فترة حالكه الظلام من العهد العثماني.

يقول قسطاكي الحمصي ، وهو واحد من الأدباء الذين دأبوا على حضور صالونها الأدبي : (كانت ماريانا عذبة المنطق ، فكهة الأخلاق ، طيبة المعشر ، واسعة المعرفة ، وكان منزلها في حلب مثابة الفضلاء ، وملتقى الظرفاء والنبهاء ، وعشاق الأدب) . لكن المحتلين كانوا لها بالمرصاد ، لمثل هذه النشاطات الفكرية والأدبية ، فأسرف العثمانيون في التضييق على أحرار الفكر ، وضغطوا على حملة الأقلام ، لأنهم باتوا يشكلون خطراً عليهم ، فأضطر العديد من هؤلاء المفكرين إلى مغادرة البلاد تاركين في الوطن أهلهم وأحبّتهم . فأقفر الصالون من رواده .

وكان الأديب جبرائيل الدلال (أحد رواد الصالون) الذين غضب عليهم العثمانيون في طليعة من فروا إلى باريس ، ومن هناك أخذ يرسل القسطاكي واصفاً له الحرية القصوى التي يتمتع بها الفرنسيون . وأنه بالرغم من كرهه للغربة ، راضٍ بها مادامت تصون كرامته وتحمي شرفه من الأذى . يقول :

وإذا لم يكن هنا غير أن الحر فيها يعيش دون منازع
فهو يكفي حظاً لقلبي وإن سالت على غربتي غروب المدامع
لم تبق لي الأراذل في الشهباء من مأرب ولا من مطامع

وعندما يذكر الشهباء ، لابد أن يذكر مريانا ربة الفضل والفضائل كما يقول ، ومجالس الأدب اللطيفة في ردهتها الأنيقة ، ويتحسر :

لا ولا أشتهي سواكم ولا أرغب فيها من بعد تلك الوقائع
غير قرب الفريدة اللطف ذات الصون والحسن والذكا والبدائع
ربة الفضل والفضائل (مريانا) التي ذكرها يسر المسامع
والتي زانها الكمال إذ زان سواها الحلبي وسدل البراقع

أصدرت الأديبة ماريانا مراش ديوان شعرٍ صغيرٍ «بنت فكر» عام ١٨٩٣م، فيه قصائد بعضها في المديح وبعضها في الغزل والرثاء. مدحت نقرأ من رجال الحكم من غربٍ وأتراك ليس بغية مال أو عطاء بل عن إعجاب وتقدير.

أما رثاؤها فيكاد ينحصر في أهلها وأقربائها، فرثت أخاها فرانسيس مراش المتوفى عام ١٨٧٣م بقصيدة تشبه إلى حد ما رثاء الخنساء لأخيها صخر، فأخوها بالنسبة لها كان شيئاً كبيراً، كان عالماً وطيباً وشاعراً، وكانت علاقتهما عميقة جداً وكان موته فاجعة بالنسبة لها.

وهي لا تخفي تأثرها بالخنساء، فتقول:

ومال غصن صباها من ذرا الشجر	مالي أرى أعين الأزهار قد ذبلت
والماء في أنثى والجو في كدر	مالي أرى الروض مكموداً وفي كرب
فراق خلٍ وتشكو لوعة الغير	مالي أرى الورق تنعي وهي نادية
ونام ذا اليوم مطروحاً على العفر	نعم لقد سابق الأحياء أجمعها
ونور الكل في شمس من الفكر	من فقه الناس في علمٍ وفي أدب
والشمس شمسٌ وإن غابت عن النظر	أبدى من الفضل ضوءاً لا خبوءه
وقد حوى كل منظوم من الدرر	وإنه بحرٌ علمٍ لا قرار له
قد صار مطروحاً في أضيق الحفر	هذا الذي جابت الأقطار شهرته
إليه ملقى بلا سمعٍ ولا بصر	خنساء صخرٍ بكته حينما نظرت
هل عاد من عودةٍ يا مفرد البشر	أقلامٌ أهلٍ النهى ترثيه وأسفي
جادت عيوني بدمعٍ سال كالمطر	قد غاب شخصك هذا اليوم عن نظري
قد راش سهما أصاب الفضل بالقدر	فيا الدهر خؤون لا ذمام له
ندباً تفرد بالأجيال والعصر	فحزن يعقوب لا يكفي لتدبك يا

ويلاهُ من حزن قلبٍ نالَ غايتهُ قد واصل القلب في غمٍ مدى الدهرِ
في لجةِ الحزنِ نفسي ضاق مسكنها من ذا يسلي فؤادي قلَّ مصطبيري
ومن شعرها الغزلي ، تقول :

بذكر المعاني هامَ قلبي صباباً فيا نور عيني هل أكونُ على القرب؟
عسى الشمسُ في مراكٍ للعينِ تنجلي فتنقل للأبصار ما حلَّ بالقلب

يقول الأديب الأستاذ عيسى فتوح في كتابه «أدبيات عربيات» : لم يكن في وسع ماريانا أن تكون غير ماكانت ، لأن طبيعة الفترة التي عاشت فيها فرضت عليها نوعاً من النمطية ، وجعلتها تنحو منحى من تقدموها من الشعراء ، وتنسير على خطاهم التي رسموها دون أن تحيد عنها قيد شعرة . تكرر ذاتها ، ليس لأن الجراءة كانت تعوزها فحسب ، بل لأن الجمود السياسي فرض عليها شيئاً من الجمود الفكري .

وهناك نفحات من شعرها الجميل ، حيث تقول :

شرفُ الفتى عقلٌ يسمو على كل الورى فينال غايات المنى
وكذاك حسنُ الخلق فخرٌ مسود متسريلٌ بالعطفِ نعمَ المقتنى
ما كل من طلب الكرامة نالها من رام صيد الظبي حلَّ به العنا
ذو المال يذهب ذكره مع ماله لكن ذكر الفاضلين بلا فنا

بعد أن فقدت ماريانا والديها وأخيها شعرت بالوحدة ، ولهذا اختارت الزواج . وساءت أوضاعها الصحية ، وتوفيت في حلب عام ١٩١٩ م تاركة تأثيراً أدبياً هاماً .

لبية ماضي هاشم

١٨٨٢ - ١٩٥٣

أديبة وباحثة لبنانية، ولدت في بيروت- الخندق الغميق عام ١٨٨٢م، تلقت دراستها في مدارس الإرساليات الإنكليزية والأميركية، وتعلمت على يد الشيخ إبراهيم اليازجي.

نزحت مع أسرتها إلى مصر في مطلع القرن العشرين، واتجهت إلى العمل في الصحافة، فأصدرت في منتصف تشرين الأول عام ١٩٠٦م مجلة «فتاة الشرق»، ركزت فيها اهتمامها على قضية المرأة وتربيتها وتعليمها وعملها.

عيّنتها الجامعة المصرية خلال عامي ١٩١١ و ١٩١٢م أستاذة في القسم النسائي محاضرة في التربية. وفي عهد الحكومة العربية الفيصلية دُعيت إلى سورية، وعينت عام ١٩١٩م مفتشة في وزارة المعارف السورية، وهو منصب رفيع في ذلك الوقت، لم يسبق لامرأة أن تقلدت مثله. ولما سقطت حكومة الملك فيصل الأول إثر تهديد القوات الفرنسية الغازية بقيادة الجنرال غورو ودخولها دمشق عنوة بعد معركة ميسلون عام ١٩٢٠م، غادرت لبيهة هاشم إلى ستيباغو عاصمة تشيلي وأصدرت فيها مجلة «الشرق والغرب» في ١٥ أيلول عام ١٩٢٣م. وفي السنة التالية عادت إلى مصر واستأنفت إصدار مجلتها الأولى «فتاة الشرق».

قامت لبيهة هاشم بتأليف عدد من القصص التاريخية والاجتماعية والتربوية القصيرة نشرتها في مجلتها، فساهمت في نشر الوعي في أوساط النساء منها:

«حنك الحب»، «الفوز بعد الموت»، «جزاء الخيانة»، «جزاء الإحسان»، «شهيد المرأة والوفاء»، «شيرين».

كان لدى لبيبة هاشم هموم نسائية منذ البدء، فكان باكورة إنتاجها الأدبي رواية «الغادة الإنكليزية»، ومن ثم «قلب الرجل» ١٩٠٤م، وهي رواية اجتماعية غرامية تحمل طابع الدفاع عن المرأة. تدور أحداثها في لبنان أيام الفتنة الطائفية عام ١٨٦٠م. شاب مسيحي يقع في غرام فتاة درزية أنقذها من الموت. تصف لبيبة البطلة بالمخلصة والوفية، والبطل بالتردد والخداع وقلة الوفاء، كتبتها بأسلوب قصصي مشوق، وصورت البيئة والأجواء العامة المحيطة بالأحداث تصويراً متقناً، واعتمدت على الحوار. وتعدُّ هذه الرواية من الروايات الاجتماعية الجيدة التي صدرت في تلك الفترة.

لم يشتهر صالون الأدبية لبيبة هاشم في القاهرة على نطاق واسع. وقد كانت تستقبل فيه عدداً من الأدباء والكتاب والشعراء من الجنسين، وأيضاً كتاب مجلتها «فتاة الشرق».

كتبت لبيبة هاشم العديد من المقالات في «فتاة الشرق» لعل أهمها:

«القمار والزواج»

تحدثت فيها بإسهاب عن القمار، هذه العادة الرذيلة (التي تفشت في أوساط الطبقات البرجوازية، تاركين زوجاتهم في مقتبل العمر، وقد لبس من الحسن أكمل سربال، تستعر صدورهن بالزفرات... وقد هجر أجفانهن النعاس).

يلاحظ أن سبب اهتمامها وكتابتها عن هذه العادة القبيحة، هاجسها عن المرأة ما يجلبه القمار من تعاسةٍ للعائلة عموماً، وللمرأة خصوصاً، وللمجتمع من

ويلات، تقول: (وإني لأجد للمقامر عذراً إذ قصر عن تصوير حال قرينته ومقدار شقائها، متى كان مكباً على مائدة القمار، تاركاً إياها بين أيدي الهواجس، تستعد لما سوف تأتيها به الخسائر والأضرار، بل لا ألومه إذا بهره بريق الأصفر الغرار. فلم يفتن إلى أن تلك جناية يجنيها، ووديعة لأولاده يتصرف بها، ولكنني أعجب كيف يجوز له سرقة الغير على الصورة التي يسمونها المقامرة، وهو يرى من نتائجها في سواه من المقامرين ما لا ترضاه أحط النفوس وأحط الأخلاق، وكفاه نذيراً ما يراه من ضياع أموالهم وشقاء أسرهم، وتعريضهم مستقبل أولادهم على أثرهم، وتمهيدهم السبل أحياناً لنسائهم للانضمام إلى حلقة القمار.

فلا أهلاً بعصرٍ جر على الشرق أمثال هذا الداء، ولا مرحباً بفرجةٍ اقتبسنا عنهم هذه الخلقة الشنعاء، وسلام على زمنٍ قضاه أجدادنا في بسطة العيش وصفو المسرات، وسقياً لأيامٍ سادت فيها الجهالة، ولكنها امتازت بالفضل وصيانة الذات، بل تعساً لدهرٍ غدونا نشكو فيه الحاضر ونتلهم على ما فات، فقد قنعوا من دهرهم بالراحة ورخاء البال... حتى أصبح الزواج في عصرنا مثلاً يضرب في اجتناء الشوك دون الأزهار، وباتت بناتنا هدفاً لسهام الذل وشفار البوار، وغدا شباننا يتسابقون في مضمار هذا التقليد الذي أخف ما فيه من الويلات عار القمار.

وليت تفشي هذا الداء قد وقف عند حد الرجال، بل إن عدواه تناولت قسماً كبيراً من ربات الحجال، فغدون لا يلذ لهن إلا الاشتغال بأسبابه، ولا يفكرن من الواجبات إلا في إتقان أبوابه).

ملك حفني ناصف

١٨٨٦ - ١٩١٨

تحتل ملك حفني ناصف مكانة متميزة بين رواد فكر النهضة العربية ، فهي من بين الأوائل الذين تصدوا لقضية المرأة في بدايات القرن العشرين . ورغم التجاهل الواضح لاسمها وإنجازاتها في محافل الفكر والثقافة ، فهي من أعظم من عملوا فعلاً في سبيل تحسين أوضاع المرأة في المجتمع .

ولدت ملك حفني ناصف في القاهرة عام ١٨٨٦ م ، ونشأت في منزل يهتم بالعلم والمعرفة . أبوها حفني ناصف كان مفتشاً لوزارة المعارف ، ومن تلاميذ جمال الدين الأفغاني ، ومن أصدقاء الشيخ محمد عبده ، مما أتاح لها في سن مبكرة الاستفادة من علم وتجربة رواد الفكر الحديث ، وأعطاهما القدرة والحكمة على مواجهة كل الانتقادات التي كانت تتعرض لها بسبب خروجها على المألوف ، أو مخالفتها للسلوك المتفق عليه ، والمقبول من المجتمع آنذاك . فلم تكن ملك نموذجاً للمرأة التقليدية ، تزوجت بأحد شيوخ القبائل ، ومن هنا جاء اسمها المستعار الذي كانت توقع به كتاباتها (باحثة البادية) .

كانت أول فتاة عربية مصرية سمح لها بالتقدم لامتحان الشهادة الابتدائية في مصر ، وذلك عام ١٩٠٠ م ، وأولى الناجحات ، في أول امتحان جرى لتخريج المعلمات . اشتغلت بالتعليم ، واستفادت من مهنتها لتشر الوعي النسائي ، فضلاً عن الترغيب بالكتابة والأدب ، ثم أدركت لاحقاً ضرورة تطوير خطابها باتجاه قضية المرأة وزيادة اهتمامها بهذه القضية .

كانت تستفيد من مكتبة أبيها الواسعة، فتقرأ عن شهيرات النساء في الإسلام، في كتاب «الدر المشور في طبقات ربات الخدور» للكاتبة زينب فواز، ولكتاب آخرين غيرها.

استهلت ملك مشاركتها في الحياة الثقافية، بكتابة مقالات في مجلة «الجريدة»، وأطلقت على مقالاتها «النسائيات» التي صار لها مع مرور الوقت قاعدة عريضة من القراء. وقد أثارت مقالاتها جدلاً واسعاً بين العديد من المهتمين بالثقافة، وتحمس الكثيرون للمساهمة في التعليق على ما تكتبه الأمر الذي أدى إلى توسيع دائرة تأثيرها في الحياة العامة.

كانت ملك ذات نزعة مصرية شرقية، تدعو لإيجاد مدنية خاصة بالشرق مع الاستفادة من إنجازات التمدن الغربي الحديث.

تصف الكاتبة ملك حال المرأة في زمنها بأنه شبيه بحال المرأة في عصر الجاهلية لا ينقصه سوى وأد البنات، تقول:

(إن الانقباض الذي نظهره عند مستهل الأنثى، يؤثر في الطفلة رضوخاً إلى الذلة ورئماناً إلى الضعة. فتشب الفتاة واجدة الفرق العظيم بينها وبين أخيها فتعتقد في نفسها أنها أخط شأناً وأدنى مرتبة. فلا تطلب من المعالي ما يطلبه أخوها، ولا تتبسط لنفسها إلى ما يرفع شأنها أو جنسها، وتضع نفسها حيث نضعها).

كل ذلك بدعوة أن الذكر يحفظ اسم العائلة. خلافاً لذلك، تجد الكاتبة أن الغربيين لا يفرقون البتة بين الصبي والبنت.

ألقت ملك ناصف أولى محاضراتها في دار «الجريدة»، والثانية في «الجامعة المصرية»، ثم في الجمعيات النسائية المختلفة الموجودة آنذاك.

ساهمت في تأسيس النهضة النسائية في مصر من خلال العديد من الجمعيات المختصة بنهوض المرأة «اتحاد النساء التهذيبي».

شاركت باحثة البادية بقدر ما أتاحت ظروفها، وما أتاحتها لها الحياة، في العمل السياسي . فعندما اعتدى الطليان على طرابلس الغرب عام ١٩١١م وهبت مصر لنصرتها، شكلت باحثة البادية «جمعية التمريض» على غرار الصليب الأحمر (قبل تأسيس الهلال الأحمر بقليل) لإرسال الملابس والأغطية والأدوية، وكذلك المساعدات المالية .

وعندما توفيت الكاتبة ملك حفني ناصف، وهي شابة في عمر الزهور ولم تبلغ الثانية والثلاثين في ١٧ تشرين الأول عام ١٩١٨م، امتلأت الصحف والمجلات بصفحات كاملة لتأبينها . وأقيم بالجامعة المصرية أكثر من حفل تأبيني لها . ورثاها شاعر النيل حافظ إبراهيم في مرثية تقع في واحد وخمسين بيتاً .

كانت ملك صاحبة رسالة تختلف قليلاً، وأحياناً كثيراً، عن بعض الاتجاهات التي سادت الفكر المصري الحديث . كانت مثل الأغلبية من رواد الإصلاح، تعي أهمية دور المرأة في المجتمع للخروج من ظلمات الجهل والتبعية . فأخذت تبحث عن أفضل الحلول لتحقيق هذا الهدف . وواجهت أيضاً مثل بقية مفكري عصرها، المشكلة الرئيسة المتمثلة بهذا الجيل في معادلة التراث والمعاصرة . لقد اجتهدت كما فعل الطهطاوي ومحمد عبده وقاسم أمين ولطفي السيد وطه حسين وآخرون، كي تجيب على السؤال الملح؛ كيف نأخذ بسبل التقدم المقدمة لنا من الغرب، دون أن نفقد هويتنا، ودون أن نتخلى عن تراثنا؟

اعتبر البعض أن الدعوة إلى تعليم الفتاة التي أطلقها المصلحون والنساء والساعات إلى التحرر، تقليداً للغربيين أكثر منها استجابة حضارية نابعة من ضمير المصلح العربي، ومنهم باحثة البادية ملك حفني ناصف، عكس نبوية موسى التي سخرت شعرها لتأييد رسالة تعليم الفتاة، ودعمها للتحضر واللاحاق بالغرب .

كانت تتفق أحياناً مع آراء معاصريها، وتختلف معهم وتجاوز أفكارهم أحياناً أخرى، فهي تعتقد أنه على الرغم من تبني رواد النهضة لقضية المرأة، فإنهم

صاغوها مشبعة بأفكارهم ومنطقتاتهم، وجاءت ملك لتركز على أهمية إتاحة الفرصة للمرأة لتقرير مصيرها والبت في شؤونها والتعبير عن وجهة نظرها في كل الأمور، وترى أن السبيل الأوحـد لتمكين المرأة من تكوين وجهة نظر خاصة بها هو التركيز على التعليم. (إذ بدون التعليم لا تتحرر المرأة ولا تخرج من شرنقتها).

وقد انتقدت ملك قاسم أمين الداعي لفكرة اقتصار تعليم الفتيات على المرحلة الابتدائية فقط. بحجة أنها لن تحتاج إلى قدر أكبر من التعليم لإدارة شؤون منزلها وتربية أولادها. فطالبت بتعليم المرأة كل مراحل التعليم، وأصرت على مبدأ الحرية الشخصية، وناقشت فكرة تقسيم الأدوار لتؤكد أنها ظاهرة تاريخية وليست ظاهرة طبيعية، وأن وضع المرأة الحالي المرتبط بالمنزل وشؤون الأولاد ليس مرهوناً بطبيعة المرأة الأزلية، وإنما لفترة تاريخية تم استبعاد المرأة من الحياة العامة. أما عن تحليلها لمقولة المرأة أضعف من الرجل وأنها لا تستطيع تحمل المسؤوليات التي يتحملها، فتقول^(١): (وما ضعفنا الآن عن مزاولة الأعمال الشاقة، إلا نتيجة قلة الممارسة لتلك الأعمال، وإلا فإن المرأة الأولى كانت تضارع الرجل شدة وبأساً. أليست المرأة القروية كأختها في المدينة؟ فلماذا تفوق الأولى الثانية في الصحة والقوة؟ وهل ترتبن في أن امرأة من المنوفية تضم أعظم رجل من رجال الغورية لو صار عته؟).

وتعارض ملك دعوة قاسم أمين لسفور المرأة، وتقول: (علموا البنات ثم اتركوا لها الاختيار) وتبرر ذلك بأن نساء مصر متعودات على الحجاب فلو أمرتهن مرة واحدة بخلعه وترك البرقع، رأيت ما يجلبنه على أنفسهن من الخزي، وما يقعن فيه بحكم الطبيعة والتغيير الفجائي، وتكون النتيجة شراً على الوطن. وفي مرة أخرى في نفس المقال تضع شرطاً مستحيلاً لذلك: (إن خروجنا بغير حجاب لا يضر في نفسه إذا كانت أخلاقنا وأخلاق رجالنا على غاية الكمال، وأظن هذا مستحيلاً أو بعيد الحصول).

(١) - النسائيات ص ١٣١ - ١٣٣ - ١٣٧ . بلاغة النساء ص ٤٠ - ٤٢ - ٤٩ .

ربما يوجد في أساس موقف ملك الحشية والتعجل في تقليد المظاهر الخارجية للمدنية الغربية على حساب الاستفادة الواعية من أسس تقدمها. ففي رسالة موجهة إلى مي زيادة نشرت في «المحرسة» و «الجريدة» تلخص موقفها من سفور المرأة، فتؤكد أنها، لا ترى أن المجتمع على استعداد لتقبل هذا التغيير المفاجئ بطريقة صحيحة. وهي إن كانت، قد انتقدت السفور لا حباً في الحجاب، وإنما لأنه جاء نتيجة تقليد عادات الغرب، ولأنه جاء قبل أن تتسلح المرأة بالعلم، فتختار لنفسها الزي الذي ترضاه، لا الزي الذي يفترض أنه أفضل لنا. ففي حجابها وسفورها تظل المرأة رهن إرادة الرجل ورهن أهوائه المتغيرة.

وهذا الموقف المتحفظ الشديد إزاء نقل مظاهر المدنية الغربية، يعد سمة من السمات المميزة لموقف ملك من النهضة، وهذا ما جعلها في موضع الصراع مع بعض مفكري العصر. (مقالات موسى سلامة الذي طالب باستبدال اللباس العربي بالغربي). وتعبّر عن رفضها لهذا الدوبان بينما تصر على الاستفادة من دروس التقدم الغربي مع مراعاة مبدأ الملاءمة، ومع أخذ مقتضيات حضارتنا وواقعنا بالحسبان.

نلاحظ في آراء باحثة البادية، سواءً بخصوص الحجاب، أو بخصوص تعلم المرأة، تشابهاً مع ما قرأناه لزينب فواز، كلتاهما أقرب إلى المحافظة في الناحية الأولى، وأقرب إلى الثورية في الناحية الثانية، غير أن هذا الموقف المعتدل من الحجاب، لم يمنع شبلي الشميل^(١) من أن يقدر كتابات باحثة البادية تقديراً عالياً، لدرجة أنه رأى لها فضلاً في الدعوة لتحرير المرأة، لا يقل عن فضل قاسم أمين. فعدم المطالبة بإلغاء الحجاب كلياً، هو رأي في نظر البعض وجيه، أولئك الذين يقولون إن الطفرة محال، ويخشون الانتفاضات العنيفة، فيطلبون الإصلاح بالتؤدة

(٢) - رسالة من شبلي شمیل إلى ملک حفنی ناصف تعود إلى عام ١٩١٠م كما يبدو في النسايات ص

واللين خوفاً من أن تصعب المطلب يحول دون بلوغه . ومهما يكن من ذلك ، فإن هذا الرأي لا ينافي رأي الطالبين اليوم السفور المطلق ، وما هو إلا حذر لفظي إن رفع الحجاب المعنوي عن العقل فلا بد أن يؤدي إلى رفع الحجاب الحسي عن الجسم ، كما أن طلب رفع الحجاب الحسي دفعةً واحدة لا يرضي به حتى المحجوب نفسه إذا لم يرفع حجاب الجهل عن عقله أيضاً .

وترد ملك على دأب بعض رواد النهضة ، على مخاطبة المرأة على أنها المسؤولة الأولى عن انحطاط الأمة وتخلفها ، فنقول : (قطع رجال الإصلاح في مصر شوطاً بعيداً للتنقيب عما يجعل الأمة في مصاف الأمم الراقية ، فلم يظفروا بضالتهم ، وبعد لأي ألقوا الذنب في تأخر الأمة المصرية على المرأة المسكينة ، وقالوا : لو كانت المرأة المصرية راقيةً لأخرجت للعالم أبناء ناشطين ، وأزواجاً حكماء ، وأسراً منظمة ، ووقفوا عند هذا الحد ينتظرون ما يقيضه لهم الدهر من ارتفاع شأن المرأة ورقياً) .

لا تنفي الكاتبة ملك مسؤولية المرأة تجاه المجتمع ، وتؤكد المسؤولية التي تقع على عاتق الرجل ، فهو المسؤول الأساسي لأنه يملك زمام الأمور ، وهو المتصرف في شؤون المرأة بحكم الوضع غير المتساوي بين الجنسين ، فإذا صلح صلحت أسرته ، وإذا فسد أدى بأسرته إلى التهلكة .

نازك العابد

١٨٨٧ - ١٩٥٩

(حاربت في طليعة الجيش العربي السوري ضد الفرنسيين، وخرجت إلى ميسلون مع وزير الحربية آنذاك الشهيد يوسف العظمة . وعندما جرح أسلم الروح بين يديها . منحتها حكومة الملك فيصل رتبة نقيب فخرية في الجيش، فكانت تتفقد الجنود بثوبها العسكري، وكلها ثقة واعتداد وإيمان برسالتها).

نازك العابد، رائدة في تاريخ النضال والثورة ونهضة المرأة المعاصرة، ولدت في دمشق إبان السيطرة العثمانية على بلاد الشام عام ١٨٨٧ م، كان أبوها من أعيان دمشق، ثم محافظاً للكرك والموصل في عهد العثمانيين.

ورغم انحدار نازك من عائلة عريقة ميسورة ومترفة، إلا أنها لم تنسجم مع هذا الواقع وما يحمله من رغبة وترف، وخيلاء وزهو بالعثمانية الحاكمة، الذي كان يفيض فيه أمثالها. لم تكن تهمها المظاهر البراقة والعناية الخاصة بالشكل، بل كانت منذ طفولتها جديّة متفتحة تشعر بوطأة المعاناة الكبيرة التي يعيشها شعبها، نتيجة ضغط الحكم التركي، والتمايز الطبقي والاجتماعي بين أبناء الشعب.

اعتزلت منذ شبابها الأجواء الرغيدة التي تعيشها الأسرة، وانزوت في حجرة متواضعة، بنتها من الطين والآجر في حديقة البيت الكبير، وحشدت فيها أشياء ومتاعها وكتبها المدرسية وكتباً متنوعة أخرى لا يهتم بها من كان في مثل عمرها. كانت تميل إلى الاستقلال والحرية والتأمل.

تلقت مبادئ اللغتين العربية والتركية في المدرسة الرشدية بدمشق، ثم في المدرسة الرشدية بالموصل. درست بعض اللغات الأجنبية في معاهد خاصة، وتعمقت في اللغة العربية على يد بعض الشيوخ في زمانها.

وعندما كانت في مدرسة الرشدية في الموصل كانت نظرتها إلى المعلمات التركيات نظرة حذر وتمرد، حيث كن يتعالين على الطالبات، وينلن من اللغة العربية والشعور الوطني لديهن. ويقال إنها شكلت تجمعاً من الطالبات زميلاتهن في الموصل لمواجهة غطرسة وتبجح المعلمات التركيات. كانت تشعر وزميلاتها أنهن أقوى من الغطرسة التركية في ذلك العهد. ولكن القوانين الجائرة وروح التعسف التي كانت تحكم البلاد، تمكنت من إقصاء الطالبة عن مدرستها. بعد ذلك نُفيت عائلتها وهي معها إلى أزمير، وبقيت في تركيا حتى عادت مع أهلها من المنفى إلى الوطن.

اتصلت نازك بالأديبة والمناضلة ماري عجمي^(١)، صاحبة مجلة «العروس»، واتفقت معها على التعاون والنضال المشترك ضد الاستعمار التركي والانتداب الفرنسي، وأن تكون «العروس» منبراً حراً لمواجهة وفضح الممارسات القمعية على البلاد. وكذلك استفادت من مجلة «الحارس» منبراً لكتاباتهن وكانت تعنى بشؤون المرأة عناية خاصة.

سعت نازك عام ١٩١٤م إلى إنشاء أول جمعية نسائية عربية في دمشق، بالإضافة إلى مدرسة تساعد على تنوير الفتيات والنساء، داعية إلى تعليم البنات وتحريرهن من الجهل والأوهام والتقاليد البالية التي كانت تسيطر على عقولهن. وكانت هذه مبادرة هامة جداً، في وقت لم يكن فيه للبنات مدارس حكومية إلا مدارس ابتدائية معدودة ودار للمعلمات. وقد استجابت لهذه الدعوة طائفة من النساء السوريات النشيطات اللواتي يتمتعن بوعي وإدراك جديدين.

(١) - «أدبيات عربيات». الأديب عيسى فتوح.

لكن الحرب العالمية الأولى وقعت في شهر تموز من ذلك العام . ومن الطبيعي أن تتغير الأمور كلها ويقضى على كل نشاط . بالإضافة إلى أن جمال باشا السفاح نفاها ثانية مع أسرتها إلى إستانبول .

عادت نازك مع عائلتها من المنفى في أعقاب الحرب العالمية الأولى ، وتوقيع الهدنة عام ١٩١٨ م ، واستقرت في دمشق باذلة كل الجهد من أجل إحياء ما كانت قد بدأت به من نشاط نسائي ووطني . فطالبت بحقوق المرأة السياسية ، ومساواتها بالرجل ، وحثها على النضال السياسي والاجتماعي .

ولما جاءت اللجنة الأمريكية برئاسة (كراين) لاستفتاء السوريين في انتداب الدول ، وحقيقة النعمة عليه وعلى ممثليه وأعوانه . برزت وفود الغاضبين وفي مقدمتهم نازك العابد ، وقد أعدت مظاهرة احتجاج كبيرة خرجت فيها النساء هاتفات ضد الاحتلال ومطالبات باستقلال البلاد ، وقد خطبت نازك في المظاهرة رافضة باسم الجموع ، الانتداب بكل أشكاله ، ودافعت بشدة عن حرية شعبها . وكانت الناطقة باسم المرأة السورية .

ولما استقبلت سورية بعد الحرب العالمية الأولى عهد الملك فيصل ، تفاءلت نازك ببزوغ فجر جديد على الأمة العربية . فكانت تكتب في الصحف السورية والعربية مقالات قومية تحررية .

وكان أول عمل قامت به ، تأسيس جمعية «نور الفيحاء» بالتعاون مع عدد من سيدات دمشق وفتياتها . وانطلقت جهودها الخيرة ، باهتمامها بمصير بنات الشهداء اللواتي فقدن آباءهن في الثورة التي قادها الشريف حسين عام ١٩١٦ م ، فانصرفت إلى الاهتمام بهن ورعاية شؤونهن ، وأنشأت باسم هذه الجمعية «مدرسة بنات الشهداء العربية» وتولت إدارتها .

أصدرت نازك ورقيقاتها عام ١٩٢٠م مجلة أسمتها «نور الفيحاء»، وهي مجلة نسائية أخلاقية أدبية. صدر منها تسعة أجزاء فقط ثم توقفت. كانت المجلة تدعو لنهوض المرأة العربية والمطالبة بحقوقها السياسية، وتحمل صوراً من التطور الاجتماعي والوطني. وقد كتب في المجلة العديد من المفكرين والأدباء. وقد طالبت المجلة الحكومة العربية الأولى بإعطاء المرأة السورية حقها في الانتخاب، وقد جرى بحث هذا الموضوع في المؤتمر السوري الذي عقد في دمشق لتقرير المصير حول الانتداب الدولي وحرية البلاد العربية ووجدتها.

شاركت نازك في إنشاء فرع للصليب الأحمر الدولي في سورية باسم جمعية «النجمة الحمراء»، التي أصبحت تدعى في ما بعد «الهلال الأحمر» وقد عينت أول رئيسة له، وكلفت بوضع حجر الأساس لمشفى جرحى الحرب، فهيأتها في بضعة أسابيع واختارت بنفسها أطباءه وعمرضيه وموظفيه.

غير أن فرحة السوريين باستقلالهم بعد الحرب لم تطل، فقد تأمر الحلفاء لانتزاع هذا الاستقلال. ولما همّ الفرنسيون باقتحام دمشق، وإنذار الملك فيصل بالخروج منها، غضب الشعب وهبّ برجاله وشبابه ونسائه، واندفعت أفواج من المناضلين والثائرين إلى السلاح، لمقاومة المعتصين.

كانت نازك وعدد من رقيقاتها في طليعة الجيش العربي السوري، وخرجت إلى ميسلون مع وزير الحربية آنذاك الشهيد يوسف العظمة. وعندما جرح أسلم الروح بين يديها.

لم تكن نازك تقاوم من خلف القناع، بل تقدمت الصفوف سافرة عن وجهها مصممة على القتال مع أفواج المقاتلين. وقد منحتها حكومة الملك فيصل رتبة نقيب فخرية في الجيش.

بعد انتهاء معركة ميسلون، وخروج الملك فيصل، واحتلال الفرنسيين لسورية، بقيت نازك تناضل مع رفيقاتها بلا هوادة، وتحرض ضد الاحتلال، فضاقت أعين الفرنسيين بنشاطها، وأغلقوا لها المجلة والمدرسة، ومنعوا الندوات الخاصة التي كانت تعقدها، فدخلت في مرحلة المقاومة السرية، وأسدلت الحجاب على وجهها لا لتجاري المحجبات، إذ كانت من الشائعات عليه، بل تستراً وتنكراً خلفه.

ولهذا كان لابد من إبعادها، فنفيت مجدداً إلى الأردن. ولما سمح لها بالعودة إلى دمشق عادت بشرط أن لا تقوم بأي نشاط سياسي معادٍ للفرنسيين. فتظاهرت بالانصراف إلى الأعمال الزراعية في إحدى ضواحي دمشق قرية جداً من الفلاحين، وعاشت حياتهم وبينت لهم حقوقهم وحدودهم، وأن الأرض صديقة لمن يعطيها العناية والاهتمام.

ورغم نشأتها في ظل الإقطاعية والسيطرة العثمانية، ثم الاحتلال الفرنسي، اعتنقت بالفطرة والخبرة آراء اشتراكية في المعاملة والمعيشة، فأعطت الفلاحين حقهم في الأرض وفي العيش والدواء والسكن والتعليم، وكانت تعمل كالفلاحات تماماً، فاكسبت حب جماهير الفلاحين في ريف غوطة دمشق.

وظلت السلطة تراقبها وتطاردها وتتعقب خطواتها، حتى فرضت عليها الإقامة الجبرية في مزرعتها الواقعة في قرية حزرمة - الغوطة الشرقية - على طريق النشابية. وما إن نشبت الثورة السورية الكبرى ضد الفرنسيين في كل مكان، حتى هبت نازك وهي متنكرة إلى جانب ثوار غوطة دمشق، تتقل من جريح لآخر لتسعه أو تنقله. كما تقدم المساعدات المالية الخاصة لأسرهم المنكوبة.

وقد أعجب المؤرخ اللبناني محمد جميل بيهم بمقالات نازك، التي كانت تكتبها في كبريات الصحف العربية والغربية حول مواضيع مختلفة، فتزوجا، وانتقلت الى بيروت حيث أسست جمعية «عصبة المرأة العاملة»، ثم جمعية «إخوان الثقافة»، وجمعية «تأمين العمل للاجئين الفلسطينيين».

لم تترك المناضلة نازك العابد أي كتاب مطبوع، لكنها تركت الكثير من المقالات والخطب المنشورة.

لعبت دوراً هاماً في النهضة المعاصرة وتركت بصمات هامة على تطور الحركة النسائية السورية واللبنانية.

وافتها المنية في صيف عام ١٩٥٩ م في بيروت عن عمر يناهز ٧٢ عاماً. نشرت مجلة «مينرفا» رد نازك العابد على كراس أصدره جورجى باز يتعلق بعملها ونشاطها. يبين التواضع الكبير الذي كانت تتمتع به. وهو التالي: [كتب السيد جورجى باز كراساً يحوي ترجمة حياة الأنسة نازك العابد، ومنزلتها من العلم والأدب والخدمات الجلّى التي قدمتها لوطنها، فقام بذلك ببعض الواجب نحو هذه الأديبة العاملة.

وقد اطلعنا على الكتاب الذي أرسلته بعد اطلاعها على كراس نشره تقديراً لأدبها وسمو أخلاقها، قالت:

(حضرة السيد جورجى باز!

تحية واحترام، اليوم عدت من المزرعة مع رزمة المنشورات، ولكم تعجبت لدى تلاوتها، وأصبحت بحيرة لا أدري ماذا أكتب، وماذا أجيب؟ فلو كان في سيرتي ما يستحق النشر لكنت فخورة إذ تولى الأمر هذا الفاضل الغيور المخلص

للنهضة النسائية، أما وإنني أعتقد بأنني لما أفي الخدمة حقها، ولم أقم بالواجب على كل فتاةٍ نحو وطنها وقضية جنسها، فلا يسعني أن اعتبر تنويهكم باسمي إلا من قبل التنشيط. وهذا أحسن مكافأةٍ على نيّتي الخالصة، وعملي المتواضع، فإن كلمة منكم تتوجها قريبتكم المحبوبة بتاج من حكمتها، هي أفضل مكافأةٍ وأجل شهادة. فأنا أعلن شكري الجزيل إليكما، واستبشر بنجاح القضية النسوية إن وضعتما الكف بالكف لنصرتها، وأنتم خير الأنصار. واقبل يا سيد الفاضلين إحترامي الفائق واعتباري)].

مجلة «مينرفا» ١٧/٣/١٩٢٧م

نازك العابد

ماري عجمي ١٨٨٨ - ١٩٦٥

ولدت ماري عجمي في الرابع عشر من أيار عام ١٨٨٨ م، في أسرة سورية من حماة كان جدها قد انتقل إلى دمشق قبل مائتي عام. بين ولادتها ووفاتها مسيرة نضال وأدب وحب وصحافة. عاشت إبان الاحتلال العثماني والانتداب الفرنسي على بلاد الشام. تلقت تعليمها في المعهدين الروسي والبرلندي اللذين كانا في سورية في مطلع القرن العشرين. عملت في التدريس متنقلة بين بلاد الشام ومصر والعراق.

أصدرت ماري عجمي مجلة «العروس» عام ١٩١٠ م وكانت تعنى بشؤون المرأة، وكل ما يمكن أن يدخل تحت عنوان التاريخ والأدب وأعلام النساء. كانت مسألة تحرير المرأة هاجساً قوياً في فكر ماري وقلبها وحياتها العامة. فبالإضافة إلى ما كتبه في العروس كانت تعمل على التحريض الاجتماعي في النوادي والجمعيات، ومن خلال الاتصالات الشخصية.

كان مراسل المجلة في بيروت بترو باولي، خطيب ماري عجمي يشحذ الهمم بمقالاته الحماسية تحت توقيع (الباتر). وقد جمع الاندماج الفكري والنضالي بين ماري والباتر بوثاق عاطفي، حملت «العروس» خبر خطوبتهما عام ١٩١٤ م. وفي الوقت نفسه، تصدر عنوان المجلة العريض اندلاع الحرب العالمية الأولى. فضيقت تركيا الخناق، وأطبقت الحصار الاقتصادي، وكمت الأفواه بإغلاق عشرات الصحف. غير أن ذلك لم يوقف مسيرة الكفاح، ولا ردم القيم والمبادئ. وبدأت المواجهة، فحملات الاعتقال استهدفت قوافل الثوار الذين غصت بهم السجون في لبنان وسورية. ومن بينهم الكاتب الباتر، وقد نقل من معتقل عاليه إلى سجن

القلعة في دمشق، فوفر على ماري رحلاتها المكوكية بين البلدين، ولا سيما أنها كانت تعاني من آلام مفصلية حادة.

ومن كان يسكن الأحياء الدمشقية القديمة، لا يمكن أن ينسى الشابة ذات السادسة والعشرين ربيعاً، تستعين بعكازٍ لتظفر بزيارة خاطفةٍ للحبيب بعد ساعات من الانتظار. وما أكثر المرات التي عادت فيها أدراجها خائبةً تطوي رسائلها، تمنى النفس بقاء قادم.

لم تحمل إلى الباتر لواعج العشاق، بل حماسة الثوار. كتبت إليه: (أنت في سجنك أكثر حريةً من ملايين البشر تحت هذه السماء... ما أقدم ذلك الكهف الصخري تفرشه والرفاق. لقد كثر الهمس عن مغاور تكاد تطبق بالأرض، تعيد البلاد إلى بدائيات العصر الحجري. وليعلم جمال باشا السفاح أن مقركم برج شاهق لا يطول قمته إلا تخليق النسور).

وصفت ماري حال السجون والمعتقلات التي زارتها: (كنت أول من لبي دعوة بعض الأدباء السجناء، ومن الساعين لإنقاذهم... وجلهم من الأغنياء وأعيان البلاد، أتي بهم إلى الشام من كل أطراف سورية وشواطئها، ليلاقوا محكمة الموت العرفي جزاءهم... وجامع المعلق جامع أثري قديم، يجري تحت ردهته الرحبة أحد فروع نهر بردى. كانت ردهته تضم ٤٢٠ سجيناً من كل طبقات الأمة. كان هذا السجن عبارة عن كهوفٍ صخريةٍ يتم الوصول إليها بشماني درجات. وكانت النوافذ صغيرة جداً يخال ناظرها أنها فوهة مدخنة، لما احتشد فيها من الأبخرة المتعفنة، وكنت أتمكن من محادثة من أريد من المعتقلين باستعمال قسطل المياه أو رشو الخفير بربع مجيدي. وإذا وقفت أحدث أحداً من الأدباء السجناء، سدبت أنفي بالمنديل لتانة الروائح الكريهة التي يستشقونها ولا يميزون،

وقد رأيت الخفراء يُخرجون جثّةً من السجن ، مضى عليها أربع وعشرون ساعة) . وظلت زياراتها تتوالى باذلة أقصى جهودها لمساعدة المعتقلين ، أنقذت أحدهم بمساعدة ذوي النفوذ ، وسرقة بعض أوراق التهمة . وكانت صلة الوصل بين بعض المساجين وأسْرهم . إذ علمت أن لامفر من حكم الإعدام . وكانت المحاكم العرفية لا تسمح بدفاع المحامين عنهم .

تبوح بإيجاز وألم شديدين : (نعم أنقذت بعضهم من السجن ، والبعض الآخر من الإعدام ، ولكنني لم أسلم من الظنون ، وقد خيل للناس أنني قبضت أجرّة على مساعي ، لأن السواد الأعظم بيننا تعود أن يقتل المروءة بتصويب سهام الظنون إلى ذوي النخوة ، بدلاً من تشجيعهم والإعجاب بهم ، فكيف لاتخور العزائم وتنقبض الأكف وتخور الهمم) .

ويوم كان بعض الرجال ساكناً هيباً إبان المحاكمات التي عقدها جمال باشا السفاح ، وأحكام الإعدام التي أصدرها زبانيته ونفذها جلادوه في دمشق وبيروت ، لم تقف ماري عجمي مكتوفة اليدين ، بل تحدت السفاح ورموزه فزارت أبطال الوطن في زناناتهم في سورية ولبنان غير هيابة ولا وجلّة . وتشهد العاصمة دمشق على ذلك اليوم من عام ١٩١٦م حين اقتحمت المناضلة ماري مقر الحاكم العسكري السفاح جمال باشا تهوي بعكازها على رؤوس أنفار الحرس ، والطاغية يأذن لها بالدخول رغماً عنه ، تفاوضه بتوكيل لجنة للدفاع عن الثوار ، أحرار الفكر الأبرياء ، وتحسين أوضاع السجون ، وتلح الطلب بالفصل بين المعتقلين السياسيين وشراذم المجرمين ، في تجاوز الكهوف . ولما قابل طلبها بوعود كاذبة ، هاجمته بشدة في مقالاتها التي كتبتها بعد مقابلتها له (كان يلقب بالسفاح لهول ما فعله بالمناضلين في سورية ولبنان) فوضفت هذا الطاغية كما رآته يبصرها وبصيرتها . وكادت مقالاتها تودي بها وتلحقها بالشهداء . . . تقول : (لابتسامة الجزار ، تكشيرة الذئاب .

ولصوته المحمل بالوعود فحيح الأفاعي وإذا تلعثم ... بلع ريقه، أدركت أن النية قد بيتت، والشعبان يبتلع سمومه)، (بين ساحة الشهداء وسط بيروت وساحة المرجة قلب دمشق، حواجز استعمارية لا يمكن أن تفصل الشقيقتين، وفجر السادس من أيار أثبت توءمة سورية ولبنان).

تقول الأدبية د. ناديا خوست: (كانت ماري عجمي متألفة الروح، وطنية حادة البصر والبصيرة جريئة وعملقة، في موقفها من شهداء أيار، ونضرتهم في قلبها، ليس فقط لأنها أحبت واحداً منهم (بترو باولي) بل لأنها قدرتهم جميعاً، واعتبرتهم قمة النضال. وظلت تفخر بمن تعرفه منهم. وكافحت كي تخفف الحكم عنهم، فكانت لغتها متضرجة كالفجر، تروي ما نقل عنهم، يحزنها موت نسائهم من الغم... ولكنها لم تقدر تماماً أنهم أولى ضحايا المؤامرة الاستعمارية الغربية...).

كان موقفها من الصهيونية واضحاً منذ البداية، فنشرت في مجلتها خطابان للشهيد شكري العسلي ومحمود الحمصاني يؤكدان الكشف السوري المبكر لمخاطر الصهيونية.

كما نشرت تقريراً مطولاً ترجمته عام ١٩٢١ م تحت عنوان «مشاريع العمران في فلسطين»، فضحت فيه المؤامرة الاستعمارية الصهيونية على فلسطين والنشاط الصهيوني لتنفيذ وعد بلفور، بدعم من الحكومة الإنكليزية التي دعت في أيار عام ١٩١٨ م وفداً يهودياً للمجيء إلى فلسطين، لتنظيم شؤون اليهود وإنشاء عدد من الدوائر تهتم بقضايا الاقتصاد والتعليم وتنظيم الأعمال. وأشار التقرير أيضاً إلى شراء الأراضي وبناء المنازل وتوزيعها على اليهود المهاجرين بالتقسيط. و(تجميل) مدينة القدس بعد تدمير المدينة القديمة والاستيلاء على مياه نهر الليطاني والأردن والاستفادة منهما في توليد الكهرباء والري مما يساعد على هجرة وتوطين مئات الألوف من اليهود في فلسطين.

وكتبت ماري عجمي بعد ذلك، العديد من المقالات التي تفضح المطامع الصهيونية . وفي عام ١٩٢٢ م نقلت صورة بناء المستوطنات على أراضٍ عربية بيعت بثمان بخس وأطلقت النبوءة (أن الـ ١٥٠ ألفاً صهيونياً، المقيمين اليوم في فلسطين هم من استوطنوها في العهد التركي برشوة الموظفين على الرغم من الأمر القاضي بمنع هجرتهم إليها . . . على أن مشكلة فلسطين ليست فردية أو جماعية، بل سياسية دولية، وفلسطين لا تتسع مساحتها لأن تكفي اليهود وطناً، بل سيتجاوزونها في المستقبل الى سائر البلدان العربية) .

ولا بد من السؤال هل تميزت نظرة ماري عجمي، بمثل الحدس الذي التقطت به مسألة فلسطين والموقف من شهداء السادس من أيار، في رؤيتها العامة للانتداب الفرنسي والتطورات التي جرت على الساحة العالمية وقلبت موازين القوى بدءاً بثورة أكتوبر وأثرها في حركة التحرر العربية التي وجدت سنداً لم يجده رجال أيار؟ . ولعل ذلك يبين خطر المصادر الوحيدة التي كانت تعتمد عليها في الثقافة، ولعل أزمة التنوير كونه استند الى الثقافة الغربية ليحارب الاستبداد التركي، الذي ظل يستند اليها بعد أن أصبحت البلاد ضحية سايكس بيكو، وأصبحت أوروبا ترسل المحتلين المستبدين الى العرب . تقول ماري : (إن الحلفاء قد حرروا العالم، فيحق لهم المجد والفخر . لكنهم إذا حرروا الشعوب، أفينكرون عليهم حق الاستقلال؟ إن بريطانيا محررتي وفرنسا مرشدتي، أما سورية فأمي، وأمي حرة فلا تقيدوها) .

لكن الاحتلال الفرنسي داس أو هام ماري عجمي، فلم تعد فرنسا لها مرشدة نتيجة الممارسات الاستبدادية والقمعية التي عامل بها بلادنا وشعبنا .

يقول الأديب والمؤرخ السوري عيسى فتوح : (وكما لعبت ماري عجمي دوراً بارزاً في محاربة الاستعمار التركي . فقد لعبت الدور نفسه في محاربة الاستعمار الفرنسي الذي لم ينقلنا إلا من تحت الدلف الى تحت المزارب) . وقد جعلت ماري مجلة «العروس» منبراً جديداً لمحاربته ورفضت الانتداب، قائلة : (من ذا الذي يقول إننا أمة لا يليق بها أن تمنح الاستقلال . ولا تعرف أن تحكم ذاتها

بذاتها). كما قالت : (لم تحمل إلينا فرنسا غير المحاكم المختلطة التي يئن منها القوم، والديون المتراكمة، والضرائب التي تتكاثر من غير إصلاح، والشركات الفرنسية التي تطرد هذا، وتستبد بذاك دون أن يسمع أحد شكواه ولو ملأ أنينه عنان السماء).

وأشارت ماري إلى التأثير السيء للاحتلال على الاقتصاد الوطني والثقافة والتعليم. وتحدثت عن الطابع القمعي الذي حمله الاحتلال لسورية. ورافقت عام ١٩٢٣م وفداً من أمهات المعتقلين السياسيين الى جزيرة أرواد لزيارة زوجة مسؤول فرنسي وطلب الحرية للمعتقلين. وقد ردت على الفرنسية التي سألتها ماذا تنشرين؟ : (لاتخشي ثورة يا حضرة الكونتيسة، فإن إدارة المراقبة لاتخرج صحيفة سياسية إلا بعد قلع أضراسها، فتصبح كما قالت السيدة خالدة أديب كقم العجوز).

أسست ماري «النادي النسائي» في حي القصاع بدمشق، ثم جمعية «نور الفيحاء» وناديتها، ومدرسة بنات الشهداء عام ١٩٢٠م. وترجمت العديد من الكتب والمقالات.

توفيت ماري عجمي في ٢٥ كانون الأول عام ١٩٦٥م، ودفنت في مقبرة الروم الارثوذكس وسط حي دمشق القديم.

المصادر

- ١- حسن العواقب «رواية» - الهوى والوفاء «مسرحية» . . . فوزية فواز ١٩٨٤م -
المجلس الثقافي للبنان الجنوبي - بيروت .
- ٢- الدر المشور في طبقات ربات الخدور . . . زينب فواز - الطبعة الأولى ١٨٩٣م
مطبعة بولاق - القاهرة .
- ٣- الرائدة المجهولة زينب فواز . . . حلمي النمنم - دار النهر للنشر - القاهرة .
- ٤- النهضة والاستبداد . . . د. عبد الله حنا ١٩٩٤م - دار الأهالي - دمشق .
- ٥- المرأة العربية في الدين والمجتمع . . . حسين العودات - دار الاهالي - دمشق .
- ٦- أدبيات عربيات . . . عيسى فتوح ١٩٩٤ الندوة الثقافية النسائية - دمشق .
- ٧- تحرير المرأة . . . قاسم أمين - مكتبة الترقى - القاهرة .
- ٨- حقوق المرأة في الكتابة العربية منذ عصر النهضة . . . بو علي ياسين ١٩٩٨م - دار
الطلعة الجديدة - دمشق .
- ٩- (١٠٠) عام من الرواية النسائية العربية . . . د. بثينة شعبان ١٩٩٩م دار الآداب
بيروت .

١٠ - الحركة الفكرية والأدبية في جبل عامل . . . محمد كاظم مكّي ١٩٨٠م - دار
الأندلس - بيروت .

١١ - البحث عن تاريخنا في لبنان . . . علي الزين ١٩٧٣م .

١٢ - المرأة في التاريخ والمجتمع . . . د. بشري قبيسي ١٩٩٥م - دار أمواج للنشر -
بيروت .

١٣ - سابقات العصر . . . وداد سكاكيني ١٩٨٦م - الندوة الثقافية النسائية - دمشق .

١٤ - أعلام النساء في عالمي العرب والإسلام . . . عمر رضا كحالة .

١٥ - هاجر - كتاب المرأة ١ . . . الطبعة الأولى ١٩٩٣م - دار سينا للنشر - القاهرة .

١٦ - هاجر - كتاب المرأة ٢ . . . الطبعة الأولى ١٩٩٤م - دار سينا للنشر - القاهرة .

١٧ - وثائق الندوة الثقافية للمجلس الثقافي للبنان الجنوبي . . . بمناسبة مرور ١٠٠
عام على رواية حسن العواقب - بيروت .

١٨ - رائدات في الحركة الأدبية السورية . . . محاضرة د. ناديا خوست - مكتبة
الأسد - دمشق .

١٩ - مجموعة مجلة «العروس» . . . ١٩١٠م - ماري عجمي .

٢٠ - مجموعة مجلة «مينرفا» . . . ١٩١٦م - ماري يني .

الفهرس

٥	* عربون وفاء
٩	* مقدمة

الباب الأول

١٧	النهضة العربية
	الفصل الأول: النهضة العربية في القرن ١٩
١٩	والعوامل الرئيسية التي أسهمت في قيامها
	الفصل الثاني: الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية
٢٣	والثقافية في بلاد الشام
٢٥	الفصل الثالث: الوضع الثقافي والاجتماعي في جبل عامل

الباب الثاني

٢٩	أوضاع المرأة في عصر النهضة
٣١	الفصل الأول: المرأة في عصر النهضة
٣٥	الفصل الثاني: أوضاع المرأة في بلاد الشام في تلك المرحلة
٤١	الفصل الثالث: الصحافة النسائية العربية في عصر النهضة

الباب الثالث

٤٩

زينب فواز

٥١

الفصل الأول: - حياة زينب فواز

٥٩

- زينب في مصر

٦٤

- زينب في سورية

٧١

الفصل الثاني: - أعمال زينب فواز

٧٧

- مسرحية الهوى والوفاء

٨٣

- الدر المشور في طبقات ربّات الخدور

٨٩

- حسن العواقب أو غادة الزهراء

١٠٩

- الملك قوروش أو ملك الفرس

١٠٩

- الرسائل الزينية

١١٢

- كشف الإزار عن مخبّات الزار

١١٣

- تعقيب على مقالة هنا كوراني

الباب الرابع

نماذج من كتابات زينب فواز

١١٩

(من كتاب الدر المشور في طبقات ربّات الخدور)

١٢١

١- باحثة البادية (عائشة التيموية)

١٣٩

٢- فاطمة أسعد الخليل

١٤٣

٣- مريم نحاس نوفل

- ١٤٥ ٤ - خولة بنت الأزور
١٥١ ٥ - ليلي العامرية بنت مهدي بن سعد
١٥٥ ٦ - زينب ملكة تدمر

الباب الخامس

- ١٥٧ شهادات عن زينب فواز
١٥٩ ١ - فوزية فواز
١٦١ ٢ - د. بثينة شعبان
١٦٢ ٣ - إميلي نصر الله
١٦٣ ٤ - محمد كاظم مكّي

الباب السادس

- صفحات من سير رائدات عرييات عاصرن زينب فواز
١٦٥ ودورهن في حركة تحرير المرأة والحركة الأدبية
١٦٧ ١ - ماريانا مراثش
١٧١ ٢ - لبيبة ماضي هاشم
١٧٥ ٣ - ملك حفني ناصف
١٨١ ٤ - نازك العابد
١٨٩ ٥ - ماري عجمي
١٩٥ * المصادر

۲۰۰۰/۵/۱۶۳۵۰۰



الطباعة وفرز الألوان مطابع وزارة الثقافة

دمشق - ٢٠٠٠

في الأقطار العربية

٢٠٠ ل.س

سعر النسخة داخل القطر

١٠٠ ل.س